٢٤٠

HARLEQUIN

روايات احلام

مبادىء الحب العشرة

داي لوكلير

www.elromancia.com
مـــرمـــوريـــة

مبادئ الحب العشرة

داي لوكلير

المبدأ الأول: يبدأ أحياناً من النظرة الأولى.

المبدأ الثاني: يمكن لصوت الحب أن يكسب أكثر القلوب عناداً.

المبدأ الثالث: لاكتمال التآلف، استعمل حواسك كلها في التعرف على رفيقك.

المبدأ الرابع: قد يدمّر الخوف أقوى العلاقات، فعليك أن تقرر ما هو الأهم..

المبدأ الخامس: ادرس من تحب من كافة النواحي.

المبدأ السادس: اعملا معاً كزميلين.

المبدأ السابع: المطلوب: الثقة، الصدق، الاحترام.

المبدأ الثامن: لا تطلب الكمال.

المبدأ التاسع: الرومانسية وحدها لا تكفي!

المبدأ العاشر: ثق بغريزتك وانتهز الفرصة.. ولا تدع التردد يقف بينك وبين الحب الحقيقي!

لبنان ٢٥٠٠ل.ل.	البحرين: ١ دينار
سوريا: ٧٥ل.س.	السعودية: ١٠ ريال
الأردن: ١,٥٠ دينار	مصر: ٥ جنيه
الكويت: ٧٥٠ فلس	المغرب: ١٥ درهم
الإمارات: ١٠ دراهم	تونس: ٢ دينار
قطر: ١٠ريال	عمان: ١ ريال

ISBN 9953-15-074-5

روايات أحلام

مجلة قصصية أسبوعية

تصدر عن شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م

المدير المسؤول: آمال سابا الهاشم

حقوق النشر والطباعة والتوزيع باللغة العربية

محفوظة لشركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.

بترخيص خطي من Harlequin Enterprises II B.V

كل الحقوق محفوظة، بما فيها نسخ الكتاب بكامله أو جزء منه بأي شكل من الأشكال

تم نشر هذه الطبعة بالاتفاق مع شركة Harlequin Enterprises II B.V.

كل العلامات التجارية استعملت

بترخيص من شركة Harlequin Enterprises II B.V.

كل شخصيات هذه الرواية وهمية. أي شبه بين هذه الشخصيات وأشخاص حقيقيين أحياء كانوا أم أمواتاً هو محض صدفة

العنوان الأصلي لهذه الرواية باللغة الإنكليزية:

The Marriage Project

First published in Great Britain 2001

Harlequin Mills & Boon Limited

© DayTotton Smith 2001

Translation © Dar El-Farasha - 2002

ISBN 9953 - 15 - 072 - 7

شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م. طريق المطار - سنتر زعرور -

ص.ب: ٨٢٥٤/١١ هاتف/ فاكس: ٩٦١-١-٤٥٠٩٥٠- بيروت - لبنان

Email: dfarasha@cyberia.net.lb

أعزائي القراء

حدث خطأ مطبعي في الصفحة الثانية من الاعداد رقم ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣ كان من نتيجته استبدال الاسماء الإنكليزية للقصص المذكورة ولمؤلفيها بالأسماء غير المناسبة. لهذا نعتذر من قرائنا لهذا ونورد فيما يلي الأسماء الصحيحة:

١ ـ القصة رقم ٢٣١ ـ بقايا ليل.

عنوان القصة الانكليزية: Wife for a day

اسم المؤلفة: Kate Walker

تاريخ الصدور: 1998

ISBN 9953-15-056-7

٢ ـ القصة رقم ٢٣٢ ـ سيدة اللعبة.

عنوان القصة الانكليزية: To catch a playboy

اسم المؤلفة: Elizabeth Duke

تاريخ الصدور: 1995

ISBN 9953-15-057-5

٣ ـ القصة رقم ٢٣٣ ـ المطلوب امرأة.

عنوان القصة الانكليزية: Ultimate temptation

اسم المؤلفة: Sara craven

تاريخ الصدور: 1997

ISBN 9953-15-058-3

أسرة أحلام

المقدمة

جلس هاري جونس في مكتبه البالغ الاتساع وهو يحاول السيطرة على الهرج والمرج الذي يدور حوله. احتشد رؤساء الأقسام ومساعدوهم حول مكتبه، كل منهم يعرض مشكلته الخاصة الطارئة ويطلب جواباً فورياً. رن جرس هاتفه الخاص فرفع السماعة وهو يقول آمراً: «نعم».

وتناهى إليه صوت أبيه يسأله ببشاشة: «مشغول؟».

ألقى هاري على المكتب نظرة ذات معنى وأشار برأسه إشارة واحدة وإذا بالموجودين يخرجون واحداً بعد آخر بصمت وسرعة بالغة.

ـ ما تريد يا أبي؟

ـ لديّ هنا شيء قد يهمّك.

ومال هاري إلى الخلف قائلاً: «أنت تأتيني دوماً بالأخبار الهامة غير العادية».

ـ هل نسيت أنّ هذا هو عملي؟

ـ غريب، كنت أظن أنّ عملك هو نشر مبادىء الحب. بالمناسبة، كيف تسير جولة الكتاب؟ أين أنت الآن؟ في «سياتل»؟

ـ أنا في «بورتلاند» وسأنتقل إلى سياتل غداً. الرحلة خلاّبة، لم أشعر بهذا القدر من البهجة في حياتي. أنت على صواب بالنسبة إلى هذه اللقاءات والخطابات التي عليّ القيام بها. أظنني أصبحت عجوزاً محبطاً.

وساد صمت طويل قال بعده أبوه: «ولكن هذا ليس سبب اتصالي بك».

ـ هذا ما توقعته. ماذا عندك؟
ـ تلقيت أوراقاً أظنها ستهمّك.
ـ أيمكنك إرسالها بالفاكس؟
ـ على جهازك الخاص فقط. لا أريد أن يراها أحد.
ـ لماذا؟
ـ لأنها تتعلق بإحدى نساء أسرة سانفلاور.
ـ تباً يا أبي! أنت تعلم أنني لا أحب التورط في علاقاتك الشخصية...
ـ الأمر لا يتعلق «بساني» شخصياً إنما بحفيدتها «ماديسون». أظنك ستلحق بي إلى سياتل بعد أن تقرأ الأوراق.
ـ هل الأمر مستعجَل إلى هذا الحد؟
ـ نعم، إنه أمر طارىء. هيا يا ولدي! استعمل بعض السلطة التي لديك، وسلّم الأعمال الصغرى إلى من ينوب عنك وقم بهذا العمل.
أجاب هاري بجفاء: «ليس لدي أعمال صغرى».
ـ حسناً، ما أحمقني! إذ أنسى دوماً أن ابني هو هاري جونس، الاقتصادي النابغة ومكتشف الأخطاء. إنا أنحني لك تقديراً.
وكانت الدعابة واضحة في حديثه.
ـ نعم، الاقتصادي النابغة ومكتشف الأخطاء ومرعب عالم المال، وأنت لا تنحني لي بل تنكمش خوفاً.
فقال الأب ضاحكاً: «أنا أحتمل التصحيح. اسمع، انظر إلى ما سأرسله لك الآن وقرر بنفسك. لكنني أظنك ستستقل أول طائرة إلى «سياتل».
بعد خمس دقائق وصل الفاكس. فلما قرأ هاري الأوراق اكتشف أنّ أباه على حقّ.. نعم سيستقل أول طائرة إلى «سياتل».

١ ـ نظرة واحدة...

مبادىء الحب العشرة.
بقلم بارتلوميو جونس

المبدأ الأول: يبدأ أحياناً من النظرة الأولى

***

فتحت ماديسون آدامز هاتفها الخليوي الذي يرن، وأجابت: «نعم».
ـ ماديسون؟
ـ مرحباً، يا خالتي «ديل». تائهة مرة أخرى؟
ـ أكره أن أزعجك يا عزيزتي.
فقالت ماديسون بإخلاص: «أنت لا تزعجينني على الأطلاق، فهذا سبب الأجر الكبير الذي أتقاضاه».
ـ ليس للمال شأن في ذلك ونحن، الاثنتين، نعلم هذا. فأنتِ تحبيننا جميعاً، أليس كذلك يا عزيزتي؟
ضحكت ماديسون وأجابت: «عليّ أن أعترف بذلك، إنه أكثر من مجرد عمل عابر، إنه مهنة. والآن صفي لي مكانك. لا أظنك قرأت اسم الشارع أو ما يشير إليه».
ـ ستفتخرين بي هذه المرة. أنا أقف عند تقاطع شارعي... الاتحاد و... والخامس.
ـ هذا سهل، ارفعي يدك وأوقفي سيارة أجرة.
ـ آه! يا عزيزتي...

www.elromancia.com

فتنهدت ماديسون، وسألتها: «ألا تحملين نقوداً».

ـ حرصت على توفير أجرة العودة، لكن تحفة رائعة نادتني باسمي.

ـ أتفهم ذلك. ابقي على الخط يا خالتي، فلدي مخابرة أخرى.

وضغطت الزر قائلة: «نعم، روزي، ماذا هناك؟».

ـ إنه «هارلي» ولديه أمر مستعجل.

ـ لدى هارلي أمر مستعجل دوماً، ما هو اليوم؟.

ـ أمر يتعلق بسيارة مرسيدس ووقت العرض محدود.

ـ أخبريه بأن هذا ليس أمراً مستعجلاً. الأمور المستعجلة هي نزف الدماء وبتر الأعضاء فقط. السيارات تدخل في جدول اجتماعاتنا الأسبوعية، وهي رخيصة جداً على الجدول. أوضحي له هذا من فضلك.

ـ إذا أخبرته بذلك فلن يحضر الاجتماع.

ـ إذن ليس علينا أن نهتم بأي أمر مستعجل يتعلق بالمرسيدس، أليس كذلك؟ اسمعي، لقد تركنا لتونا شقة «ساني» وأنا في طريقي إلى المكتب، ولكن قبل وصولي إليه لدي مهمة سريعة أريد تكليفك بها. اتصلي بوكالة سيارات الأجرة ليرسلوا واحدة إلى الخالة ديل.

ـ هل عليهم أن يبحثوا عنها أم أن يحضروها فقط؟

ـ بل أن يحضروها من تقاطع شارعي «الاتحاد والخامس». أخبريهم بأن يضعوا الأجرة مع «بخشيش» كبير على حسابي.

ـ حسناً.

وعادت ماديسون إلى خالتها: «خالتي، هيا، أوقفي سيارة أجرة».

ـ شكراً يا عزيزتي.

ـ أنت...

وتملّك ماديسون الغيظ عندما انقطع خط الهاتف. إنها المرة الثالثة هذا الشهر التي ينقطع فيها الهاتف أثناء الحديث بدون سبب ظاهر. لقد سادت الفوضى حين لم تتمكّن الأسرة من الاتصال بها في آخر مرة. أما الآن فهي، لحسن الحظ، على بعد دقائق فقط من مكتبها ومن هاتف آخر.

ضغطت على زر المصعد تطلبه ثم عادت إلى الكتاب الذي أعطتها إياه جدتها «ساني» على الغداء.

أمامها خمس دقائق لتصل إلى مكتبها ويمكنها في هذه الأثناء أن تأخذ فكرة عن هذا الكتاب، وإن كانت دقائق كافية لذلك.

تمتمت بصوت خافت: «هذا أسوأ هراء قرأته، ولا أدري كيف يشتري المرء مثل هذا الكلام الفارغ».

وعندما سمعت صوت المصعد يصل، قلبت صفحة أخرى وهي تخطو داخلة إليه، متابعه كلامها بصوت مرتفع: «لا أستطيع أن أتصور ما تفكر فيه «ساني». قد يقع المرء في الحب في وقت غير مناسب على الإطلاق؟ وعند ذلك لا يمكنه سوى الاستسلام لمشيئته القاهرة؟ يا للهراء والغباء والكلام الفارغ!».

تحرك المصعد، فنظرت ماديسون إلى أعلى مقطبة جبينها. كانت الأرقام فوق الباب تتوالى بسرعة تبعاً لصعود المصعد، ولم يكن هذا مقصدها. هناك خطأ ما، وهذا ملأها غيظاً. وما إن فتحت فمها لكي تتذمر، حتى توقف المصعد وانطفأت الأنوار.

قالت متأوهة: «آه! هذا ليس يوم سعدي».

أجابها صوت من خلفها: «ولا يوم سعدي أنا».

أجفلت لهذا الصوت. كانت من الانشغال بالكتاب بحيث لم تدرك أنّ شخصاً آخر في المصعد معها، وجازفت بالقول:

ـ يظن المرء أن المصاعد في المباني الجديدة تعمل أفضل من غيرها.

ـ على العكس، فالمبنى الجديد يفتقر للصيانة، إذ ينشغل عمّال الصيانة بفحص الأجهزة القديمة.

وعادت ماديسون تقطب جبينها، قائلة: «حتى أنّ المصعد لم يكن في اتجاهه الصحيح».

فكر لحظة ثم أجاب: «لا تأخذ المصاعد الاتجاه الخاطىء إلا إذا لم تنتبهي إلى الاتجاه الصحيح للسهم».

كانت الملاحظة معقولة لأنها لم تكن تركّز انتباهها. ولم تكن المرة الأولى التي تسلك فيها طريقاً خاطئاً... في المصعد، أو في الحياة حتى. لهذا السبب، عليها أن تركّز انتباهها أكثر من عادتها. ستضع ملاحظة بذلك، وإن كانت تدرك مسبقاً أنها ستنضم إلى تلك الملاحظات السابقة. لم تكن، في الواقع، عديمة الملاحظة، بل هي تتمتع بقدرة على التركيز خارقة، لكنها، ولسوء الحظ، غالباً ما تتجاهل ما لا علاقة له بالعمل الذي بين يديها مهما كان نوعه.

وإذا بمصباح الطوارىء يضيء مصحوباً بأزيز خافت، مغطياً كل شيء بلون العنبر. التفتت ماديسون تخاطب رفيقها في هذه الكارثة، في حين تصاعدت قرقعة عالية تردد صداها في هذا المكان الصغير، تبعها أزيز حاد انطفأ بعده ضوء المصباح.

وقال الرجل: «أرجو ألاّ تكوني من النوع الذي يصرخ؟».

فأجابت بحزم، متجاهلة توتر أعصابها.

ـ لا، أبداً. إنني أكثر أفراد أسرتي واقعية.

ـ هذا وقف على طبيعة الأسرة وما إذا كانت تقيم الدنيا وتقعدها.

ربما إذا ما أصغت إلى كل كلمة يقولها، يتبدد توتر أعصابها. والآن، ماذا قال؟ تكلّم عن أسرتها ونعتها بأوصاف قد تضحكها لو لم تكن متوترة الأعصاب.

ـ أنت محق بالنسبة لذلك، فأسرتي مؤلفة، في الحقيقة، من أفراد بعيدين عن الواقعية.

ـ يا لسوء الحظ!

وسكت لحظة ثم تابع يقول: «قولي لي أرجوك، إنك لست مثلهم».

ـ لست مثلهم أبداً.

لديها قدرتها على التركيز، مثلاً، فمجرد مصعد مظلم خانق لا يكفي لتشتيت ذهنها، إنما قد يحدث ذلك إذا طال هذا الوضع... يمكنها الاحتمال دقيقة أو اثنتين، أو ربما خمس دقائق، قبل أن تفقد تركيزها.

ـ هذا ممتاز. والآن، بعد أن اتفقنا على أنكِ لا تنوين الصراخ أو الإغماء...

ـ لا.

ـ هذا ممتاز. والآن بعد أن اطمأنينا إلى أنك لن تصرخي أو يغمى عليك، قد نجد هاتفاً لنطلب النجدة.

ـ هذا صعب فأنا لا أتمكن من الرؤية.

كم دقيقة مرت عليهما؟ اثنتان؟ ثلاث؟ وانقبضت يداها. عليها أن تخرج من هذا المأزق... يجب أن تخرج من ورطتها هذه قبل أن يحدث شيء غير مستحب، وعادت تقول: «لا أظنك تحمل هاتفاً خليوياً؟ توقف هاتفي عن العمل وسط آخر مخابرة أجريتها».

سمعته يتحرك في الظلام وكأنه يبحث في جيوبه.

ـ لا بد أنني تركته في غرفتي في الفندق. ولست واثقاً من أنه سيعمل في هذا المكان.

ـ ما كان ليعمل، على الأغلب، نظراً لحظنا السيء! هل لديك مصباح يدوي؟ راديو لاسلكي؟ حبال ومعدات للقفز من الأعالي؟

لا شكّ أنّ اليأس يدفعها لطرح مثل هذه الأسئلة.

ـ آسف، لقد تركت كل هذه المعدات مع عباءة «السوبرمان» في الفندق.

صرفت هذه النكتة ذهنها عن الواقع، إذا ذكّرها بخالها دانيال الذي يعاني من عقدة «السوبرمان». ورغم أنه لا يرتدي مثله سروالاً ضيقاً وعباءة واسعة، إلاّ أنّه يوقع نفسه في المآزق لشهامته وسعيه لإنقاذ الفتيات اليائسات اللاتي لا يقبلن في أغلب الأحيان بأن ينقذهن.

ابتلعت ماديسون ريقها بصعوبة وأرغمت نفسها على الاستمرار في الحديث، فقالت:

ـ لديك، على الأقل عباءة سوبرمان. وهي نادرة هذه الأيام.

ـ فلنقل إن هناك هاتفاً، في مكان ما... وإذا استطعت... الوصول

www.elromancia.com

إليه...

سمعته يتحرك في المصعد، فانتظرت ثانيتين قبل أن تسأله: «حسناً؟ ماذا قالوا؟».

ـ لم أسمع جواباً بعد.

ساد صمت استغرق ثواني طويلة طويلة، وفكرت في التوجّه نحوه واختطاف سماعة الهاتف منه والقيام بالأمر بنفسها. لكنها عدلت عن ذلك وسألته: «متى سيخرجوننا من هذا المكان؟».

لم يبدُ عليه الضيق من فروغ صبرها وهو يجيب: «ليس حالاً، لأن التليفون معطل».

سألته دون أن تعبأ بإخفاء ذعرها: «ولماذا؟».

ـ أظن أنّ العطل الذي أصاب المصعد والنور أصاب الهاتف أيضاً.

ـ إذن فقد حُبسنا هنا؟

شعرت وهي تطرح هذا السؤال، وكأنها تختنق. وتشبثت بالحاجز المعدني الذي يحيط بجدار المصعد وكأنها تتمسك بحياتها، ثم تابعت: «ولكن لا بد من وجود مخرج ما».

التفت إلى ناحيتها وقد مال صوته إلى التهدئة.

ـ ظننتك قلت إنك لست من النوع الذي يتملكه الذعر؟

ـ أنا لست مذعورة! كيف تظنني مذعورة؟ أنا لست كذلك! هل تراني مذعورة؟

ـ إنها غلطتي. ظننت أنني شعرت بما يشبه الهستريا في صوتك مما خدعني.

ـ لا تكن سخيفاً. لم تتملكني الهستريا في حياتي قط.

وحاولت أن تتنفس، ولسبب ما وجدت ذلك صعباً.

ـ أظن أنّ الهواء قد انقطع أيضاً، كما أصبح الجو حاراً هنا، ألا تظن ذلك؟

ـ ما اسمك؟

وما علاقة ذلك بقلة الهواء؟ لكنها أجابت: «ماديسون».

ـ أنا هاري.

أعجبها اسمه ورأته لطيفاً يوحي بالأمان. حسناً... إنها بحاجة إلى رجل بمثل هذه الصفات.

ـ لا أظن أنّ شهرتك هي «هوديني».

وكان هذا اسم ساحر اشتهر في زمانه. لكي النكتة جاءت ضعيفة ربما لقلة الأوكسجين في المصعد التي شرقت بقية خفة الدم التي تمتلكها.

ـ اسمي في الواقع هو...

لكنها قاطعته.

ـ أريد الخروج من هنا.

ألا يفهم هذا الرجل هذا؟ من حسن حظها أنّ برفقتها رجلاً لطيفاً يوحي بالأمان، لكنها سيئة الحظ لأنه بمثل هذا القصور العقلي.

ـ الآن!

ـ أسف لأن هذا لن يحصل، اسمعي يا ماديسون. لِمَ لا نجلس، نحن الإثنين ونستريح؟ يمكننا أن نتحدث بانتظار إنقاذنا.

فقطبت جبينها، وقالت: «نتحدث؟ ألا يستهلك هذا الأوكسجين بشكل أسرع؟».

ـ لن يحصل نقص في الأوكسجين، صدقيني.

وظهر في صوته شيء من التسلية ضايق ماديسون، فسألته: «ماذا لو كنت مخطئاً».

ـ يمكنك عندئذٍ أن تقولي إنني من قال لك ذلك. هذا إذا بقي هناك ما يكفي من الأوكسجين لتقوليه.

لا بد أنه يسخر منها، ما أزعجه! ما هذا النهار السيء؟ لم تجرِ الأمور كما يجب حتى الآن، ويبدو أنها لن تتحسن قريباً.

ومضت لحظة أخذت فيها تراجع خياراتها. يمكنها أن تبقى محطاً لسخريته ولهوه، أو أن تصرخ طالبة النجدة، أو أن تجلس حسب اقتراحه

www.elromancia.com

وتبدأ حديثاً هادئاً عقلانياً إلى أن يأتي أحدهم وينقذهما. ولم يتطلب اختيارها للخيار الثالث العقلاني، طويلاً. وإذ اكتشفت أنها ترتجف، جلست على أرض المصعد المفروشة بالسجاد واستندت إلى الجدار. وشعرت بهاري يحذو حذوها، فشبكت أصابع يديها وأخذت تجاهد لتستعيد توازنها. لم تفقد من قبل سيطرتها على نفسها، وأخافها هذا أكثر مما تودّ الاعتراف به، ربما لأنه حصل على غير توقع منها. أخذت تتنفس بعمق، وتملّكها الارتياح عندما شعرت بتحسن. وسألته بصوت شبه طبيعي، لا يفضح الخوف من الأماكن المغلقة الذي فاجأها:

ـ ما الذي تودّ التحدّث عنه؟

لم تفهم كيف أصابها مثل هذا الخوف، ولم يبدُ لها هذا معقولاً. لكن لم يحدث من قبل أن وجدت نفسها مسجونة، في مثل هذا القفص المظلم. أجابها:

ـ كنت تقرئين عندما دخلت المصعد. ومما كنت تقولينه لنفسك فهمت أنّ الكتاب لم يعجبك.

ـ نعم لم يعجبني.

ـ هذا جواب مختصر. ما اسم الكتاب؟

كان يحاول جاهداً أن يبقي الحديث جارياً، فرأت أنّ أقل ما عليها أن تفعله هو التعاون معه والتركيز على الحديث. فأجابت:

ـ اسمه (مبادىء الحب العشرة). لا، لم يعجبني. إنه...

ـ (هراء، وغباء).. وأظنك قلت أيضاً (كلام فارغ).

فقالت بحدة: «كنت تستمع إلي إذن؟».

ـ كان من الصعب قليلاً ألاّ أفعل، فقد كنت تتحدثين بصوت مرتفع.

وسمعت حفيف ثياب فتكهّنت أنه خلع سترته، ثم سمعت صوتاً آخر ناعماً أنبأها بأنه أتبعها بربطة عنقه.

ـ إذا كنت تظنين أنّ الكتاب سيء لهذه الدرجة، فلماذا اشتريته اذن؟ كان صوته لذيذاً، عميقاً، جذاباً. ولو كانت الظروف مختلفة، لما

مانعت الاستماع إليه لبعض الوقت.

ـ أنا لم أشتره، بل تلقيته كهدية. وأنا اقرأه من باب الفضول لكي أرى فحواه، لأن جدتي اشترته بعد قراءة المقدمة فقط. هل أخبرتك أن أسرتي غير عملية؟

ـ أذكر أنك قلت شيئاً مماثلاً. إلى أيّ صفحة من الكتاب وصلت؟

ـ قرأت أول ثلاث صفحات.

فضحك بهدوء وبطريقة جذابة: «أفهم من كلامك هذا أنك لم تتأثري بما قرأت. فهل أنت واثقة من أن ثلاث صفحات يمكن أن تعطيك فكرة كافية عن محتويات الكتاب؟».

ـ لن يتطلب الأمر أكثر من صفحة واحدة.

ـ وما هو الخطأ الذي لاحظته بالذات؟

مالت ماديسون برأسها تسنده إلى الحائط خلفها وقد شعرت بالانقباض في نفسها يزول تدريجياً. الحمد لله لأنّ الحديث أفادها، أو لعل السبب هاري الذي توحي شخصيته بالطمأنينة.

ـ من أين أبدأ؟ ليس هناك الكثير للخيار.

وفكرت لحظة ثم أضافت: «لا بأس، ما رأيك في هذا؟ ما إن تقع عيناك على الشخص الذي من المحتمل أن يكون أليفك، حتى يحدث في كيانك تفاعل كيمائي سريع.. قل لي يا هاري، كيف يمكن تفسير ذلك؟ وما هو هذا التفاعل الكيمائي الذي يتحدّث عنه بارتلوميو جونس هذا؟ هل عليّ عندما أرى رجلاً يثير اهتمامي أن أقيس نبضي وضغط دمي وحرارتي لأرى ما يحدث في جسدي من تفاعلات كيمائية أو بيولوجية؟

ـ هل هي مبالغة في التحاليل الطبية؟

ـ آه! لا أعني هذا.

إذا كان هذا المقياس الوحيد، فإن هاري مؤهل لإثارة تفاعل كيميائي فلقد بذل أقصى جهده لكي يهدّىء مخاوفها ويلهيها بالحديث، وإذا وجدت صوته جذاباً، فهذا ما لا يستطيع هو تجنبه كما لا تستطيع هي

www.elromancia.com

تجنّب فقدان السيطرة على أعصابها.

تابعت تقول: «إنما هذا الأمر غير عملي».

ـ هل أفهم من حديثك أنّ من المهم أن تكون الأمور عملية في نظرك؟

ـ في غاية الأهمية.

ولعل هذا ما يجعلها تقلق من خوفها من الأماكن المغلقة. فهذا الخوف يسقط آراءها التي تعتز بها ويرغمها على مواجهة مشاعر لا تستطيع السيطرة عليها.

ـ أما بالنسبة إلى الحب، فأنا أؤمن به، إنما لا أؤمن بالهراء الشاعري مثل الحب من أول نظرة.

بقي هاري صامتاً لحظة طويلة، ثم قال: «أخبريني. كيف يمكن للمرء أن يقع في الحب برأيك؟».

عندما أخذت تفكر في الجواب المناسب، خطر في بالها غرابة الموقف. ما أغرب أن تتبادل مثل هذا الحديث الحميم مع رجل غريب تماماً! لعل الظلام ساهم في إرساء الثقة، أو لعلها الطريقة التي حاول بها هاري تبديد مخاوفها. لكن مهما كان السبب، فهي لا تذكر أنها تبادلت مثل هذا الحديث الصريح مع رجل من قبل، أو استمتعت بحديث مماثل. وحتى خوفها من الأماكن المغلقة تراجع وتحوّل إلى توجّس بسيط.

ـ قبل أيّ شيء، لا يمكن للحب أن يقوم على عشر قواعد أساسية منشورة في كتاب أحمق يعرضه المؤلف على شاشة التلفزيون ليكسب من ورائه مبلغاً من المال. هذا عمل حقير، وهدفه هو استغفال النساء الساذجات اللواتي يسهل خداعهن؛ نساء متلهفات إلى الحب، يغريهن بائع جوّال وسيم بشراء وعود لا يستطيع الوفاء بها.

ـ هذا ليس بجواب عن سؤالي.. إذا كان الكاتب مخطئاً، فكيف يقع المرء في الحب إذن؟

تمنت لو ترى وجه هاري، إذ لمست في صوته نبرة فولاذية لا تدري سببها. فالرجال الذين يحملون اسم (هاري) ينبغي ألاّ تظهر في

شخصياتهم هذه الناحية الفولاذية، بل هم عادة ودودون وديعون كالخرفان ولطفاء يتصرفون بشهامة مع النساء الخائفات المذعورات.

ـ الحب يتطوّر مع الزمن، وينبغي أن يقوم على ركائز صلبة، كالثقة والإعجاب والانسجام في الافكار.

ـ يبدو أنك وضعت مبادئك الخاصة.

فاعترفت، بعد أن أدركت صحة كلامه: «لعلي منحت الأمر بعض التفكير».

وربما أكثر من (بعض) التفكير. ألم تضع تصوراً للرجل المثالي الذي يمكنها أن تحبه من كل قلبها؟ كان موضوعاً عزيزاً عليها وقد احتفظت بالسر، ولم تطلع عليه أفراد أسرتها، ومع ذلك، شعرت بالراحة وهي تتحدث عنه مع رجل غريب، فما أغرب تصرفها!

ـ كما كنت أقول، يجب أن يقوم الحب على الثقة المتبادلة، والإعجاب والانسجام. وهذا الانسجام يجب أن يشمل الحنان، والتناغم الثقافي والنواحي العامة الأخرى. الإعجاب أهم من الحب، لأن...

ـ أنت لم تعرفي الحب من قبل، أليس كذلك؟

ـ لم أصادف قط الحب الذي يصفه الكتاب. لا، ولكنني لا أعتقد أنه موجود. أظن أنّ السيد جونس يصف الشهوة أو الافتتان، أو، على الأرجح، يعرض مجرد تمنيات.

ـ كيف يمكنك أن تنكري وجود الحب لمجرد أنك لم تعرفي الحب من أول نظرة؟

ـ من ملاحظاتي الشخصية.

ـ وتقرنين ذلك طبعاً بطبيعتك العملية.

فسألته بدورها: «وهل عرفت أنت الحب؟ هل تؤمن بالحب من النظرة الأولى الذي يصفه جونس؟».

ـ أعترف بأنني عمليّ مثلك تقريباً.

ـ أحقاً؟

www.elromancia.com

وسرّها هذا لسبب ما. إنه رجل عقلاني إذن، رغم صوته الخشن الجهوري، وتابعت تقول: «إذن أنت توافقني الرأي، بأن هذا الحب الروحاني الدائم ليس سوى أسطورة خالدة للحالمين، ومشاعر شاعرية حمقاء، وخداع فنانين عديمي الضمير».

- لا مطلقاً.

- يسرّني أن نتفّق...

ولكن لا، إنهما غير متفقين. يا له من رجل صعب! كيف يمكن لشخص يدّعي مشاركتها طبيعتها العملية أن يجادلها، خصوصاً حين تكون على حق؟ هذا غير منطقي أبداً.

- انتظر لحظة، كيف يمكنك أن...

فقاطعها قائلاً: «أنا قاضٍ متحفظ محتاط. فإن لم أجرّبه بنفسي لا يعني أنه غير موجود».

- هراء.

- المعذرة؟

فقالت تعترف: «إنها كلمة تستعملها جدتي «ساني» وأنا أحبها لأنها تحمل رنّة تمرد، كما أنها تلخّص ردة فعلي بشكل أدقّ من أي كلمة أخرى».

- هراء.

فانفجرت ضاحكة للطريقة التي لفظ بها الكلمة وقالت: «إنها لا تنزلق عن اللسان بشكل صحيح، أليس كذلك؟».

- بل هي أشبه بمحاولة بصق ملء فم من الريش.

- لا أظنها كلمة يستعملها رجل.

- ولا تشبه ألفاظه حتى.

فقالت متحدية.

- ومع ذلك... فهي تعبّر عن مشاعري إزاء حديثنا.

- تعنين عن الحب.

رغم ذكاء هذا الرجل، إلا أن لديه بعض المفاهيم غير الواضحة، لعلها ستجد الوقت اللازم لتوضيحها وتصحيحها قبل أن يذهب كل في طريقه. وارتجفت، ليس لأنها تريد أن تمضي وقتاً أطول في هذا المصعد، بل لأنها تستمتع بهذا الحديث. فهذا الرجل يبعد ذهنها عن الواقع... ويا له من رجل عذب الحديث! عذب الحديث إلى حدّ يبعث على الغيظ.

قالت له:

- أنا، في العادة، أحب الناس الذين يعبرون عن رأيهم بصراحة، ويدخلون في صلب الموضوع مباشرة.

- على ألاّ يثير ذلك الضيق؟

فقالت ضاحكة: «هل اعتبر ذلك أمراً لا بد منه؟».

- اعتبري ذلك من مخاطر المهنة، فالصراحة والدخول في صلب الموضوع هما جزء من العمل. ومن الطبيعي أن يثير ذلك الضيق.

- أحقاً؟

استغربت لأنها لم تره من النوع المسبّب للضيق، فهو على خطأ في بعض المفاهيم لكن جوهره حسن، وتابعت قائلة: «ما هو عملك عندما لا تكون محبوساً في المصعد».

- استعدي لسماع ذلك.

أصلحت ماديسون من جلستها على الأرض، ثم ثنت ساقيها حتى صدرها وأحاطتهما بذراعيها.

- أنا مستعدة.

- أمضي أيامي في ضبط الإحصاءات والأرقام النهائية للمنشآت والأوضاع الاقتصادية.

- هذا رائع. ولكن ماذا يعني؟

- أنا اقتصادي. يمكنك أن تقولي إنني نصف اقتصادي ونصف محاسب، وشبه محلّل. فأنا أجمع المعلومات المعقدة وأشرحها، ثم أعرض الحقائق ببساطة قدر الإمكان.

ما كان ليتخذ هذا النوع من العمل إلاّ إذا كان مصرفياً، يا للرجل المسكين! أتراه ينزعج لأنه رجل عادي بهذا الشكل؟

ـ ولمن تشرح هذه المعلومات؟

ـ إنني مستشار مستقل.

ـ فهمت، أيّ أنّك تحلّ المشكلات الاقتصادية لمن يدفع لك.

ـ أتريدين تفاصيل أدق؟

ـ أنا أعشق التفاصيل الدقيقة.

أي شيء يبعد ذهنها عن هذه الجدران التي تحيط بها وتهدد بالقضاء على البقية الباقية من سيطرتها على أعصابها.

ـ أنا أقدّم لأهم الشركات الاستشارات عن النمو الاقتصادي وعن اتجاهات السوق.

مضت لحظة صمت استوعبت خلالها كلامه، ثم قالت: «هذا يعني أنّك تعلّم الناس كيف ومتى ينفقون أموالهم».

ـ نعم.

ـ هل أنت ماهر في هذا؟

ـ نعم.

ـ هذا حسن جداً.

ـ هذا ما أخبروني به.

ـ عليّ أن اعترف بأننا نعمل في الميدان نفسه.

ـ أحقاً؟

لقد فاجأته بهذا.

ـ حسناً... استشاراتي هي مصغر عن استشاراتك. وأنا أعطي أكثر من مجرد نصائح اقتصادية رغم أنّ هذه النصائح تأخذ مني الجزء الأكبر من وقتي.

ـ وهل أنت ماهرة في ذلك؟

فلم تجد فائدة من التواضع فقالت: «نعم».

ـ هذا حسن جداً.

فقالت ضاحكة: «إنني موهوبة. أو هكذا قالوا لي طبعاً. وطبيعتي العملية تفيدني، فأنا لا أدع العواطف تؤثر في حكمي».

ـ ولحساب من تعملين؟

ـ آه! أنا مستشارة مستقلة أيضاً. ولكن بدلاً من العمل لحساب الشركات، أتعامل مع أسرة «سانفلاور».

ـ المعذرة؟

ـ «سانفلاور؟» هو اسم أسرتنا من ناحية أمي. وأنا من أسرة «أدامز» ومنها ورثت طبيعتي العملية، من أسرة أبي. فهم مصرفيون ومحاسبون ومحامون، لكني لست على اتصال بهم.

وأسرعت تغيّر الموضوع لئلا تخوض في تفاصيل مؤلمة:

ـ لطالما كانت أسرة «سانفلاور» محط اهتمامي.

ـ وما هو عمل أفراد أسرة «سانفلاور».

ـ ليس من السهل أن أصنّفهم كما فعلت مع أسرة أبي. إنهم... كما يحلو لهم أن يكونوا. يمكنك أن تقول إنّ ما من نزوة طارئة إلاّ اجتذبت فرداً من أسرة «سانفلاور».

ـ فهمت.

فسارعت تضيف: «لا تسيء الفهم. إنهم رائعون، ومحبون، كرماء، مرحون، ومسلّون».

وابتسمت بمحبة وقد بان العطف في صوتها قبل أن تضيف: «لكنهم غير عمليين ولا مثقال ذرة، وهذا أسوأ عيوبهم».

ـ وهل تعوّضين أنتِ عن هذا العيب؟

ـ أظن ذلك.

ـ وتبالغين في ذلك؟

فقالت تعترض على الفور:

ـ كلا أبداً.

www.elromancia.com

ـ هراء.

ـ لا أدري كيف وصل الحديث إلى أسرتي على كل حال.

ودار في نفسها صراع بين تزمّت سخيف وتذمّر، فقطبت جبينها لرد فعلها هذا. ما مدى أهمية ما يفكر فيه هاري على أيّ حال؟ فلديها وظيفة بالغة الأهمية للأسرة التي تحبها من كل قلبها. وإذا بالغت قليلاً في حماستها لكي تثبت أنها ذات فائدة لأسرة سانفلاور، فهذا شأنها وحدها وليس شأن أيّ شخص آخر. وحماستها تناسب أفراد الأسرة. هذا هو المهم، فبأي حق يدسّ هاري أنفه في شؤون الأسرة؟ كما فهم الأمور بشكل خاطىء، ووصل إلى استنتاجات لا أساس لها.

ـ يمكننا أن نعود إلى الموضوع الآخر الذي كنا نناقشه إذا شئت.

أتراه أحس بما تفكر فيه؟ هذا لا يدهشها، فهو بالغ الفطنة، كما هم الناس العمليون عادة. فقالت:

ـ لا أتذكر ذلك الموضوع.

ـ كنا نتحدث عن الحب.

ـ أظننا استنفذنا ذلك الموضوع، أليس كذلك؟

ـ لم ننتهِ منه بعد.

كان صوته قد انخفض، وأصبح رقيقاً أبح، فتملكتها رعشة، وشعور بعدم الراحة. ولأول مرة خطر في بالها أنها في المصعد مع رجل لا تعرفه... رجل أخذت تناقشه مواضيع حميمة. شيء في ذهنها نبّهها إلى أنّ تصرفها غير عملي! ورغم الفكرة التي كوّنتها عنه، إلاّ أنه قد يكون مختلفاً كلياً. لعله لص أو مجرم أو شخص منحرف قد يستغل وضعهما هذا. إنها لا تخطىء عادة في حكمها على الآخرين، لكن بما أنها لم تكن تعمل بكل كفاءتها ومقدرتها، فقد تخطىء هذه المرة.

وعاد إليها خوفها من الأماكن المغلقة، عاد أقوى مما كان عليه من قبل. أثارت الظلمة أعصابها، وضخّمت صوت أنفاسها التي بدت أشبه بشهقات مذعورة سطحية ومتسارعة. وسمعت أنفاسه أيضاً، فكانت بطيئة

ثابتة ومنتظمة، تعكس رجولة قوية. هل هذا ممكن؟ هل تنفّس الرجال يختلف عن تنفّس النساء؟ هذا ما يبدو، فأنفاسه تحمل صفات الرجولة. وهل هذا أمر متعمد؟ أم أنه ينتج عن هورمونات ذكرية؟

وزجرت نفسها واصفة إيّاها بالغباء. هذا هو هاري الاقتصادي... العملي... الودود الذي أشعرها بالأمان... إنه الحمل الوديع.

ومع ذلك... شعرت بأنه يغريها بتنفّسه، لكنه على الأرجح لا يدرك ما يحدث. ودفنت وجهها بين ذراعيها. يا إلهي! إنه يشبع الجوّ، دون أن يدري، بأنفاسه المفعمة بالقوة والحيوية ولا يمكنها سوى استنشاق الهواء العذب المثقل بالعواطف مع كل نفس ضعيف من أنفاسها.

ـ لقد عاد إليك الخوف، أليس كذلك؟

ـ نعم.

ـ كيف يمكنني مساعدتك؟

فرفعت رأسها، وأجابت: «ببقائك حيث أنت».

أفلتت منها هذه الكلمات دون وعي، فجاءت كمكاشفة صريحة للغاية.

وقد أدركا ذلك، هما الإثنين.

***

www.elromancia.com

٢ ـ صوت الحب

المبدأ الثاني: يمكن لصوت الحب أن يكسب أكثر القلوب عناداً

***

مضت فترة صمت طويلة قبل أن يجيب هاري: «فهمت».

ما الذي يعنيه بذلك؟

وسألته متوترة: «ما الذي فهمته».

ـ إنك خائفة مني. يبدو الأمر مسلياً عند التفكير فيه.

ـ أنا لا أجده مسلياً أبداً.

إنه، على الأقل، لا يدرك أن خوفها ممزوج بالانجذاب نحوه، وأراحها ذلك قليلاً.

ـ أنا أعتذر، فأنا لا أجد الوضع مسلياً، بل خوفك مني.

ـ لماذا؟ أليس فيك ما يرُهب؟

ـ أنا أرهب الناس فعلاً، ولكن على صعيد العمل. أما على الصعيد الشخصي فأنا لا أؤذي أحداً.

هذا ما كانت تظنه، فشخصية هاري متكاملة لا تتغيّر. ولم تشعر بخوف منها لفترة، فقد تصرف بشكل رائع معها منذ البداية. ومنذ أحس بخوفها من الأماكن المغلقة، حاول أن يخفف عنها ويلهيها عن ذلك. لقد جعلها تشعر بتحسّن، وهدأ تنفسها، ولم يعد تبادل الأحاديث في ما بينهما يبعث الذعر في نفسها. ولعل هذا ما يفسّر الانجذاب الغريب الذي تشعر به نحوه، ولا علاقة لهذا ببارتلوميو جونس ومفاهيمه الشاذة عن الارتباط

العاطفي من النظرة الأولى.

ـ أتظن أنّ بإمكاننا أن نتحدث في موضوع آخر؟

اقترحت عليه ذلك لتصرف ذهنها عن سلوكها الأحمق. ولتثبت أن خوفها من الأماكن المغلقة قضى على سيطرتها على نفسها، سألته: «هل تؤمن حقاً بالحب من أول نظرة؟».

ـ نعم.

ـ حتى وإن كان ذلك غير عملي؟

فقال بتواضع مريب: «أدرك أن الأمر غير مناسب، لكنني متأكد من أنه ممكن».

ـ أنت إذن توافق السيد جونسن الرأي؟ وتعتقد أنّ الحب تفاعل كيميائي؟

ـ أظن أن الكيمياء تلعب دوراً. فكري في الأمر.. لماذا ننجذب إلى شخص محدد وليس إلى آخر؟ لا بد أنّ الغريزة أو العقل الباطن أو التفاعل الكيميائي يسبب ذاك.

فهمست: «وهل هذا يحدث الآن؟».

وقبل أن تبدأ في التساؤل عن مصدر هذا السؤال، وقبل أن تسترد هذه الكلمات، أو تخفف من وقعها بتفسير معقول، رنّ جرس الهاتف المثبت على لوحة التحكم على الجدار. وسمعت هاري يتقدم نحوه ليجيب. توقعت أن تسمع جلبة وفوضى في محاولته الوصول إليه بسبب الظلام الدامس، لكن حركاته جاءت بطيئة منضبطة واثقة.

ـ نعم، نحن محبوسان، لا، نحن اثنان فقط. حسناً، انتظر لحظة ريثما أسأل.

ـ ماذا؟ ماذا يقولون؟

ـ سيمرّ بعض الوقت قبل أن يتمكنوا من مساعدتنا. هل هناك من تودّين الاتصال به؟ أقرباء قد يقلقون عليك؟

ـ كنت متوجهة إلى المكتب، هل يمكنهم الاتصال بروزي وإعلامها

www.elromancia.com

بمكاني؟ أنا واثقة من أن أسرتي قد تملّكها القلق.

أعطى هاري هذه المعلومات ورقم هاتف مساعدتها، رافضاً عرضهم عليه الاتصال بأحد أفراد أسرته، ثم وضع السماعة، واستقر في زاوية من المصعد. هل يخبر ماديسون بأن بضع ساعات ستمر قبل إصلاح العطل؟ ليس من الحكمة أن يخبرها لأن النصف ساعة الأخيرة لم تمرّ عليها بسلام، وزرع الخوف في قلبها الآن باطلاعها على الحقيقة لا فائدة منه.

سألها هاري وكأنه لم يكن يعلم: «أين كنا من الحديث؟».

الكيميائيات أو الانجذاب الفوري أشبه بتيار كهربائي بينهما. ترى أهذا ما يحدث الآن؟ نعم، هذا ما يحدث، ومنذ البداية. وهذه حقيقة كان عليها أن تعترف بها لولا عنادها اللعين.. أو لعله الخوف.

قالت كاذبة دون أن يؤنّبها ضميرها: «لا أذكر ما كنا نتحدث عنه».

وفكر في أن حمرة خجل تنافس غروب شمس «سياتل» تعلو وجهها، وفكر في أن يكذّبها. لكنه، كان متسامحاً معها ومهذباً عندما طلبت منه أن يلزم مكانه في المصعد وكان أيضاً مهذباً إزاء هذه الحادثة، فتصرف وكأنه صدّق فعلاً أن الخوف من الأماكن المغلقة هو الذي دفعها إلى قولها. وهذه المرة سيتسامح معها أيضاً. لعلها لا تعرف ذلك، لكنه لن يتساهل معها في المرّة الثالثة، وهذه حقيقة سيوضحها لها في أول فرصة.

لقد تعلّم منذ وقت طويل أنّ الحياة لا تقدم أطعمتها الشهية على طبق من فضة، وعلى الرجل أن يلاحق ما يريده، ويتشبث به بيديه الإثنتين. وهو، حالياً، يرغب في ماديسون أدامز، فلتنكر ما يسري بينهما من تجاذب إذا كان هذا يريحها، لكن إنكار الحقيقة لا ينفي وجودها.

إزاء صمته المستمر، اندفعت ماديسون تتحدث بسرعة: «كيف صادف أن انحبست في المصعد معي؟ لا بد أنك في المبنى لسبب ما. أنا أتيت لأتناول الغداء مع جدتي «ساني»، فلديها شقة في الطابق الخامس عشر. كان من المفترض أن تعرفني إلى مؤلف الكتاب ذاك، لكنه لم يحضر. ربما عليّ ألاّ أهتم بأمر علاقتهما، فتبادل الاتصالات الهاتفية أو

الاتصال بواسطة «الإنترنيت» شيء، والمعرفة الشخصية شيء آخر. ألا تظن ذلك؟ لعله غيّر رأيه فحضر إلى هنا بالطائرة ليقابلها».

انتظر هاري حتى انقطعت أنفاسها من الكلام قبل أن يجيب. وقد اختار أن يجيب عن أقل أسئلتها ضرراً: «جئت إلى هنا من أجل اجتماع».

ـ آه! استشارة اقتصادية لحساب شخص ما؟

ـ نعم، هذا ما طُلب مني. لكنني لم أقرر بعد ما إذا كنت سأقبل العمل.

ـ هل هي شركة كبيرة؟ لعله ذلك السيد الذي يعمل في تجارة أجهزة الكمبيوتر، أو.. من هناك غيره من أصحاب الشركات الكبرى في سياتل؟ هل لاجتماعك علاقة بالطائرات؟ ماذا عن سلسلة المقاهي الوطنية؟

وكانت الحماسة تتجلى في صوتها، فابتسم بسبب فضولها، وأجاب: «أنا معروف بالتعامل مع شركات بهذا الحجم. ولكنني خالفت القاعدة هذه المرة. لقد طُلب مني أن أتفحّص أعمال مجموعة صغيرة جداً خدمة لأبي. يمكنك أن تسمّي ذلك (إجازة للعمل).

فبدت عليها خيبة الأمل، وهي تقول: «آه! لا شك في أنهم ممتنون جداً لأن رجلاً في مثل خبرتك سيساعدهم».

ـ هل ستشعرين بالامتنان لو كنت مكانهم؟

ـ هذا لن يحدث لي. كما سبق أن أوضحت لك.. لديّ كل ما أحتاجه. لكنني واثقة من أن تلك المجموعة الصغيرة ستستفيد من خبرتك. فليس كل إنسان قادر على التنبؤ بنسبة النموّ الاقتصادي واتجاه السوق المالية مثلنا، نحن الاثنين. عندما سيدرك المسؤولون كم ستتحسن أحوالهم، فسيسرهم أن يصغوا إلى ما تقوله.

أسند رأسه إلى الجدار خلفه وأخذ يشتم بصوت منخفض.

ـ ماذا لو كان مدير هذه المجموعة مثلك؟ يشعر بأنه قادر على أن يتصرف جيداً من دون معلوماتي؟

ـ بأوراق الاعتماد التي لديك، لن تجد صعوبة في إقناعه.

وحيّرته ثقتها البالغة فيه وهي تضيف: «لن يجد من خيار سوى الرضوخ إلى تفوّقك العملي وقدراتك الذهنية».

- أفضل ألاّ أثقل على أحد.

- آه، لكن سبق أن قلت إنك (رهيب) في العمل.

- بل قلت (رهيب جداً).

- حينذاك كان من المفروض ألاّ تجعلني أتوتر. هل نسيت؟

- وأنت تشعرين بالتوتر الآن؟

وابتسم لشكواها وأضاف: «هل نغيّر الموضوع مرة أخرى؟».

- لا. أظن أنّ بإمكاني مواجهة قدر قليل من توتر الأعصاب، كما أنني أحب أن تشرح لي أمراً ما.

وتحرّكت في الظلام، فانتشر عطرها الخفيف ليحتضنه بعذوبة أنثوية.

- حين تريد أن تثقل على أحد، ماذا تفعل؟

امتزجت التسلية بموجة من الرغبة في نفسه، فأجاب: «هل أنت واثقة من أنّ هذا الحديث لن يزيد في شعورك بالخوف من الظلام؟».

- آه! لا، حديثنا سيخفف عني.

وترددت وكأنها تبحث عن عذر ثم قالت: «إنه يصرف ذهني عن خوفي».

كانت تهتم به كرجل وتبذل جهدها لتخفي ذلك، لكن جهدها لم يفلح، فطبيعتها العقلانية لا تعرف المراوغة أو الخداع. وتمنى لو يرى وجهها ليكتشف إن كان معبراً كصوتها.

- إذا كان ما سأخبرك به عن عملي مفيداً، فأظن أنّ من واجبي أن أجعل الحديث يستمر.

- نعم، أرجوك، استمر. كيف ترهب الناس؟ لا أظنك مضطراً لذلك دوماً.

- لا.

وفتح أزرار قميصه الأولى وغيّر جلسته، لكن هذا لم يشعره بالراحة،

فأرضية المصعد غير مريحة. ولحسن الحظ خفف وجود ماديسون عليه ذلك.

- أغلبية رجال الأعمال تريد رأيي وتدفع لذلك جيداً ولكن في بعض الأحيان يتنازع أصحاب العمل لأسباب تافهة، أو تتطلب الأعمال مجهوداً إدارياً ضخماً، فيستدعونني لاستشارتي في كيفية التمويل. في هذه الحالة يكون حضوري مصدراً للنزاع ولاختلاف الآراء.

- هذا أمر غير سار. كيف تواجه وضعاً كهذا؟

- أولاً، أرسل بلاغاً.

ضحكت، وقالت: «تعني شيئاً من قبيل (استعدوا، أنا قادم)».

- بالضبط. أرسل تعليمات مفصّلة عما سأحتاج إليه عند وصولي، قائمة طويلة تضم الحجز في الفندق، المكتب، تحديد مواعيد الاجتماعات، الموظفين، يجب أن يحضّر كل شيء بعناية.

- باختصار أنت تبعث الاضطراب في دنياهم.

- أفضّل أن أقول، إني أثير اهتمامهم.

- وبعد ذلك؟

- بعد ذلك أصل إلى الشركة باكراً. فحين أفاجئهم على حين غيرة، وهم مشغولون في مناقشة تعليماتي، أشيع الاضطراب بينهم.

- دعني أخمّن. فيمضون اليومين التاليين وهم يحاولون التعويض عن الانطباع السيء الذي تركوه لديك في البداية.

- في أثناء ذلك يصبح بإمكاني تقويم الوضع والمستخدمين وإعداد خطة مالية. كما يصبح بإمكاني أن أضع تصوراً لما سيحدث إذا لم يدخلوا أي تغيير، ولما سيحدث إذا ما نفّذوا بعض التغييرات المقترحة، والفائدة التي سيجنونها إذا ما نفذوا تعليماتي بكل دقة.

- أظن أن غالبيتهم تعتمد الخيار النهائي.

هزّ كتفيه وعلّق: «بعضهم وليس كلهم. وفي بعض الحالات يكون الوقت قد فات لإصلاح الأمور لسوء الحظ».

ساد الصمت دقائق عدة وهي تحاول أن تستوعب كلامه.

ـ بمناسبة الحديث عن الإصلاح، كم سيتطلب من الوقت إصلاح المصعد؟

قطب جبينه، وسألها: «بعض الوقت. هل توترت أعصابك مجدداً؟».

ربما ما كان عليه أن يخبرها عن وسائله المرهبة.

ـ قليلاً.

وأخذت تفرك ذراعيها بحركات سريعة، قبل أن تضيف: «ظننت أن الجوّ سيكون خانقاً هنا، لكنني أشعر بالبرد. أليس هذا غريباً؟».

ـ هل سيتحسن شعورك أم سيسوء إذا ما جلست قربك؟

ـ لا أدري.

ـ أتحبين أن تجرّبي لتحكمي بنفسك؟

أثار ترددها غريزة الحماية في نفسه. هذه الغريزة التي تصارعت مع رغبته في طلب ما يريده. وكانت مقاومة هذه الرغبة الخفية القوية شبه مستحيلة، لكنه نجح في ذلك. قد يتبع هواه بكل ما يملك من عزيمة، ولكن ليس على حساب شخص آخر.

اختارت تلك اللحظة لتوافق على اقتراحه، مؤجّجة، دون وعي منها، نار تلك المعركة الصامتة في داخله.

قالت: «لا بأس، فلنجرب الجلوس واحدنا قرب الآخر».

ـ دعيني أحضر سترتي، فستساعد على تدفئتك.

وانتقل من مكانه وهو يضيف: «قولي شيئاً لكي أعرف مكانك فلا أدوس عليك».

ـ أنا هنا..

ـ وأنا بقربك تماماً.

ـ يمكنني أن أسمع أنفاسك.

ـ نعم، حسناً، هذا نوع من التصرفات الآلية التي لا حيلة لي فيها.

ضحكت لكلامه، ضحكة متوترة أكثر مما يجب وقالت: «إني أتكلم بغباء».

فردّ وهو يجلس بجانبها: «لا، لا عليك».

وجعل بينهما مسافة قدمين تقريباً، فلا شك في أنها ستقدّر له هذا التحفظ، وتابع يقول: «كانت أمي تخاف الأماكن المغلقة هي أيضاً».

ـ أحقاً؟

واسترعى هذا اهتمامها.

ـ نعم.

ـ وكيف كانت تواجه الأمر؟

ـ ليس بشكل حسن، لا أظن أن المصاعد تخيفك أنت في الظروف العادية.

ـ لم أحبها قط. لكنها لم تثر أعصابي من قبل.

ـ أنت لا تدركين كم أنتِ محظوظة. لم تكن أمي تستخدم المصعد دون أن أكون أنا، أو أبي، برفقتها. أتذكر وأنا طفل صغير أن أبي كان يحيطها بذراعيه فتغمض عينيها إلى أن نخرج من المصعد.

ـ يا للمسكينة! وماذا كانت تفعل في غياب والدك؟

ـ كانت تمسك بيدي وتجعلني أتحدث إليها طوال الوقت.

تلك الحركة البسيطة هي التي عززت فيه غريزة الحماية التي ما زالت تزعجه إلى هذا الحين.

ـ هل كنت تتحدث إليها كما تفعل الآن؟

ـ نعم.

وتمنى لو يستطيع أن يراها. لم يدرك من قبل كم ساعدته لغة الجسم وتعابير الوجه على معرفة شخصية الإنسان وأفكاره.

ـ هل ما زلت تشعرين بالبرد؟

ـ سأدفأ بعد قليل.

فنفض سترته وناولها إياها، قائلاً: «خذي، هذه ستدفئك».

مدت يديها في الظلمة بحثاً عنه، فاصطدمتا بيديه، وسمعته يقول: «دعيني أساعدك».

أبعدت يديها بآهة عنيفة ثم جمدت في مكانها، برفق كبير أحاط كتفيها بالسترة، وتملكته الدهشة عندما اندفعت نحوه بعنف فأحاطها بذراعيه. (هيا، أقدم، إنها بين ذراعيك).

كان هذا أول ما خطر له. قالت بدهشة واضحة: «أحس وكأن جسمك كبير؟».

ـ هنالك سبب لذلك.

وأحس بها تبتسم، وهي تسأله: «هل سبب ذلك هو أنك كبير الجسم؟».

ـ جسمي كبير فعلاً.

ـ ظننتك قلت إن مظهرك غير مخيف.

ـ لم أشأ أن أزيد من خوفك.

ـ فهمت.. شكراً يا هاري.

ـ العفو.

ـ أتعلم؟

ـ ماذا؟

ـ كنت أفكر في هذا، وتبيّن لي أن الخوف من الأماكن المغلقة ليس شعوراً عملياً أبداً.

سمح لنفسه بلمسة سريعة على صدغها يطمئنها بها. فاشتبكت خصلات شعرها الناعمة بأصابعه ترحب بلمساته.

ـ أنا واثق من أنك ستتحكمين في هذا الشعور لو أمكنك ذلك.

ـ لعلك لم تلاحظ ذلك، لكن اسمي ليس عملياً هو أيضاً.

نزع أصابعه من شعرها رغماً عنه، وقال: «لعلك ورثت من أسرة «سانفلاور» مشاعر أكثر مما تظنين».

ـ لا تحاول رفع معنوياتي.

ـ أتحبين أن تشبههم؟

ـ أحياناً، فالتصرف بشكل عملي طوال الوقت أمر متعب.

ـ نعم، وهو مسؤولية ثقيلة.

التفتت إليه وقالت: «أن يتصرف المرء بشكل عملي، يعني أحياناً ألاّ يأخذ مشاعر الآخرين بعين الاعتبار».

النبرة الغريبة التي تجلّت في صوتها أفصحت عن ذكريات حزينة، فقال محاولاً التخفيف عنها: «أشك في أنك تفعلين هذا».

ـ بل سأفعل هذا حتماً. إنني أقوم بكل ما هو ضروري لأحمي أسرتي، حتى لو كان في هذا ما يؤذي شعورهم أحياناً.

ـ لماذا؟

ـ لأنهم يحبونني رغم أنني أشبه والدي.

ـ وهل شبهك بأبيك أمر سيء؟

صمتت لحظة طويلة، ثم قالت: «إنه أمر سيء جداً».

ـ ماديسون..

ـ لا بأس، يا هاري. لا تهتم بي، أنا لا أروي مشاكلي عادة للغرباء. أظنني فعلت ذلك لأننا انحبسنا هنا وقد اختلطت مشاعري، وربما لأن أسرتي تبالغ في تصرفاتها هذه الأيام، مما يسبب لي الإحباط.

ـ بأي شكل؟

وعلقت أصابعه بشعرها مرة أخرى، لكنه لم يتركه هذه المرة.

ـ لقد وقعت جدتي في غرام هذا الرجل الذي يظن أنه خبير في الحب.. لقد تعرفا إلى بعضهما البعض عبر الانترنيت وقد قررا الآن أن يتقابلا. خالي دانيال رفعت عليه امرأة دعوى قضائية لأنه ساعدها بدون رضاها. وابن خالي يزورني يومياً لأمر طارىء يتبدّل مع تبدّل الأيام. وآخر ما خطر له هو الحصول على سيارة مرسيدس جديدة.

ـ وهل هذا أمر طارىء؟

ـ نعم، بالنسبة إليه.

ـ وأنت تهتمين بكل هذه المشكلات؟

سقط رأسها على كتفه، وشعرت بارتياح لذلك.

ـ هذا هو عملي. لحسن الحظ، لديّ مساعدة تقدم لي العون بشكل ما.

ـ بشكل ما؟

ـ نعم، إنها قريبتي من آل سانفلاور.

ـ أفهم من هذا أن رأيها في المساعدة يختلف عن رأيك.

ـ إلى حد مؤسف، فهي لا تعرف معنى كلمة حذر. وإذا شئت الحفاظ على سر ما، فلا أخبره لروزي.

ـ يبدو أنك بحاجة إلى نصيحة للتعامل مع أسرتك.

فقالت بحدة وهي ترفع رأسها: «لا تكن سخيفاً، ما من شيء يطلبونه ولا يمكنني مواجهته».

ـ هذا حسن.

وعاد يطمئنها بلمسة لطيفة سريعة. وارتاح وهو يراها تتكور بجانبه مرة أخرى، وتريح رأسها على صدره.

ـ كنت غبياً في اقتراحي هذا.

ـ لا بأس، فأنت لا تعرفني جيداً.

وربت على صدره تطمئنه ثم سألته: «هاري؟».

ـ ما زلت هنا.

ـ شكراً مرة أخرى.

فابتسم للهجتها الرسمية، وأجاب: «العفو، مرة أخرى، يا ماديسون».

رفعت رأسها إليه، وقد مست أنفاسها وجنته، فتركت فيه تأثيراً غريباً، عند ذلك ارتكب ثاني أكثر تصرفاته جنوناً وعدم منطقية. وكان الأول عندما ترك كل أعماله واستقل الطائرة إلى سياتل، بعد اطلاعه على أوراق أثارت اهتمامه. والثانية الآن وهو يعانقها.

تنفست بعنف، وتصلّب ظهرها، فظن أنه ارتكب غلطة فظيعة. وفكّر في إطلاق سراحها، لكنها عادت وتنهدت مسترخية بين ذراعيه. عانقها بتملّك لم يستطع إخفاءه. فتعلقت به بدون أدنى أثر لتردد أو مقاومة.

كانا في وضع غريب وحبسهما في قفص مظلم ترك تأثيراً غريباً في حواسهما. فها هي الحياة تدور في الخارج باندفاع جنوني، بينما هما هنا بمنأى عن حركتها. لقد أعطاهما هذا فرصة للتصرف بطريقة ما، وللتجاوب مع مشاعر طارئة كانا سيتجاهلانها في ظروف أخرى. ولم يمنعه هذا الوضع الطارىء من مواجهة حقائق عدة صعبة. إذا ما تخطى الحدود التي رسمها لنفسه الآن، فسيجازف مجازفة كبرى قد يندم عليها عندما يضع الواقع حداً لهذه اللحظة. يمكنه أن يغريها على التجاوب، ولكن ماذا سيكون شعورها فيما بعد؟ هل ستندم على تصرفها؟ لا بد أنها ستحتقره لانتهازه الفرصة.

كان بحاجة إلى بعض الوقت، فبين ذراعيه امرأة جذبته كما لم تفعل امرأة أخرى من قبل. كانت لينة، وصلبة في الوقت نفسه، واثقة من نفسها وضعيفة إلى حد مؤلم، ذكية ومع ذلك عنيدة إلى حد بعيد. كل ميزة فيها تغريه إلى حد لم يكن يظنه ممكناً، وإذا تمكّن من إقناعها، فسيشكلان ثنائياً رائعاً، وستصبح الحياة جميلة.. جميلة جداً.

طوّق وجهها براحتيه، ملامساً وجنتيها بإبهاميه. لقد فتنه وجهها، رغم أنه لم ير منه سوى لمحة بسيطة من وراء الكتاب الذي كانت تقرأه عندما دخلت المصعد. كان ذقنها جميلاً رغم ما يدلّ عليه من عناد وأنفها مستقيماً جميلاً وعيناها واسعتين بأهداب حريرية طويلة، فيما حاجباها مقوسين. لم يستطع أن يعرف مدى طول شعرها لأنه كان مربوطاً. لكنه شعر أنها رائعة بين ذراعيه، وكأنه مكانها الطبيعي. وسألته بفروغ صبر: «حسناً.. ما رأيك؟».

ـ أنا راضٍ.

ـ كيف تقول هذا وأنت لم ترني؟

www.elromancia.com

ـ أتحاولين أن تغيري رأيي؟

ـ لا، بل..

أمسك بيدها يرفعها إلى وجهه قائلاً: «جاء دورك».

وبحذر، أخذت تتلمس ملامحه بأصابعها، فيما بقي هو جامداً، رغم المشاعر التي أثارتها فيه. وسألها: «حسناً؟».

مالت عليه وأصابعها تتخلل شعره، فشمّ رائحة عطرها مرة أخرى، رائحة خفيفة جعلته يفكر في الربيع. وكلفته سيطرته على نفسه كل ما يملك من قوة، فشد قبضتيه متسائلاً عما إذا شعرت بما يبذله من جهد للتحكم في نفسه. وأخيراً قالت: «إنّ شعرك قوي وكثيف، ما لونه؟».

ـ عليك أن تتكهني.

ـ حسناً.

وعادت تتفحص ملامحه مرة أخرى وهي تقول: «ثمة خط عبوس بين حاجبيك».

ـ إنها من ضرورات المهنة. هل نسيت أنّ عليّ أن أبدو مخيفاً؟

ـ صحيح، سأتذكر ذلك. الحواجب..

قال يساعدها: «إنهما إثنان».

وردت مازحة: «على الأقل ليس لديك حاجب واحد، لكنهما من النوع العدائي».

ـ إنهما يتلاءمان مع ملامحي الأخرى.

ـ بالنسبة إلى الأنف.. إنه مستقيم. فإما لم تكن محارباً، وإما كنت تنتصر دوماً. والاحتمال الأصح هو أنه لم يكن بوسع أحد أن يصل إلى وجهك ليضربه.

ـ أنا طويل، لكن ليس إلى هذا الحد.

ـ ماذا إذن؟ ألست محارباً؟ أم أنك تنتصر دوماً؟

فقال يحذرها: «بل لطالما كنت محارباً».

لكنها لم تفهم الإشارة وقالت: «هذا يعني أنك كنت المنتصر دوماً،

وهذا لا يدهشني. أراهن على أنك تستطيع الخلاص من أسوأ المواقف بكلامك فقط. من الأفضل أن نستعمل العقل لا العضلات، خصوصاً وأنك رجل فكر وعقل. والآن، أين كنت؟ آه، نعم، وجنتان كبيرتان. آه، وهذا أثر شارب».

ـ آسف، لأنني حلقته.

ـ لا حاجة للاعتذار. أظن أن شاربيك أكثر عدائية من بقية ملامحك. بعد ذلك لدينا ذقن لا يقبل الهراء و...

ووصلت أصابعها إلى فمه فجمدت.

ـ و؟

فأبعدت يدها بسرعة وتابعت كلامها: «وفم».

ـ يمكنك إعطاء وصف أفضل.

وانخفض صوتها ليصبح همس أبح: «فم واسع صلب و..».

ولم تعد المقاومة ممكنة، فأمسك بالسترة التي لفها حولها، وجذبها إليه. وقعت على صدره وهي تضحك، وتطوّق خصره بذراعيها، فعانقها بشغف جرفهما إلى متاهات لم تعرفها من قبل.

كانت ترتدي ثوباً حريرياً، وشعر بالقماش الناعم تحت راحته وهو يحتضنها، ويضمها إليه بشدة.

ـ أريدك.

صدمتها كلماته، وجعلتها تشهق.

ـ أعرف هذا.

قالت ذلك بنفور بالغ، فسألها: «هل الوقت والمكان غير مناسبين؟».

ـ لم أعتد الانجراف وراء أحاسيسي والتمادي مع الغرباء في مصاعد معطلة.

ـ لم تجيبي عن سؤالي بعد.

ـ أنت لا تعيش في «سياتل» أليس كذلك؟ لذا فأنت تريد أن تكون

www.elromancia.com

علاقتنا علاقة قصيرة، وأنا لا أرضى بهذا النوع من العلاقات.

ـ وماذا لو تحوّلت إلى أكثر من ذلك؟

ولم يستطع أن يمنع نفسه، فأمسك برأسها يدنيه منه ليعانقها من جديد.. كان ضغطاً غير عادل، لكنه لم يهتم..

ـ هل تريدين ذلك؟

ـ نعم، أريد ذلك.

احتضنها أكثر مسروراً، وقال: «سننتظر إذن الوقت والمكان المناسبين».

وتأوهت بشيء من الضيق، فقال: «لطف منكِ أن توافقي، وإن لم يكن أمامك خيارات أخرى».

ـ سيدهشك مقدار الخيارات التي كانت مفتوحة أمامي.

ورفعت رأسها لتقرصه في ذقنه وتضيف: «هل ظننت حقاً أنّ بإمكانك إغوائي؟».

أخذ يفرك ذقنه، مفكراً في أنه يستحق هذا الجواب لغطرسته.

ـ لم أشك في ذلك.

ـ أنا لست سهلة إلى هذا الحد.

ـ ولا أنا.

وبحث عن سترته حتى وجدها فعاد يلفها حول كتفيها ويدنيها منه مرة أخرى، مضيفاً: «أنا وحدي كنت أعرف إلى أين سيؤدي ذاك العناق».

ـ كان مجرد عناق.

ـ هل أنت واثقة؟

ـ هيا، يا هاري! لست عملياً بالنسبة إلى ما حصل. فأنا لا تجرفني المشاعر، وبما أننا متشابهان فلا بدّ أنك مثلي. إننا أذكى من أن نقع في ذلك الفخ.

ضحك قائلاً: «استمري على هذا المنوال يا حبيبتي، وقد تقنعين أحدنا».

ـ هل سينقذوننا قريباً؟

يبدو أنها تريد تغيير الموضوع، وهذه طريقة ممتازة عند التعرّض للهزيمة. وقبّل خصلات شعرها، قائلاً: «لن يطول الأمر كثيراً، حاولي أن تستريحي، فسنخرج من هنا قبل أن تدركي ذلك».

ـ وبعد ذلك سيذهب كل منا في طريقه.

ـ سنرى.

وساد بينهما الصمت، صمت كره أن يخرقه. ولكن هناك أمر عليهما توضيحه: «ماديسون؟ لقد خطر في بالي للتوّ أننا لم نتعارف».

ولم يكن في الواقع يكذب، وتابع يقول: «أظن أنّ عليّ أن أخبرك باسمي الكامل، أدعى هاري جونس».

وساد صمت بينهما، ثم عاد يؤكد: «جونس، هل يعني لك هذا شيئاً؟ جونس كمؤلف (مبادىء الحب والعشرة)؟

واستمر الصمت، فتنحنح، آملاً أن يجد طريقة ينقذ بها الموقف. وعندما توقف للحظة ليفكر في الأمر، وجده سخيفاً. الرجل الذي لطالما واجه أصحاب الشركات الكبرى ومدراءها، يرهبه ذلك الصمت الطويل، صمت تلك الفتاة العملية، التي تفرط في حماية من تحب، وتخاف الأماكن المغلقة، والتي نصفها من أسرة سانفلاور.

ـ أعرف أنه كان عليّ أن أخبرك قبل الآن. لكن، نظراً لشدة توترك حينذاك، لم أشأ أن أجعل الأمور تسوء أكثر.

لماذا لم تقل شيئاً؟ لماذا تلتزم الصمت؟

ـ حبيبتي؟

الجواب الوحيد الذي تلقاه هو صوت شخير رقيق ساخر.

ومضت ثوانٍ قبل أن يستوعب الحقيقة، عندئذ هز رأسه. تباً! ما إن عرفت اسمه، حتى تملكها الغضب. لكنه لا يستطيع لومها، كان عليه أن يخبرها من قبل، إنما لم يشأ أن تعرف هويته إلا بعد أن تكوّن عنه فكرة محايدة غير متحيّزة.

(واجه الواقع، يا جونس..).

فرصة أن تصدق ماديسون حياده، عندما تكتشف سبب مجيئه، تقارب العدم. وكشّر وهو يفكر في أنّ ماديسون لن تكلمه مجدداً أبداً.

***

٣ ـ استعمل حواسك..

المبدأ الثالث: لاكتمال التآلف والتقارب، استعمل على مهل حواسك كلها، مع رفيقك

***

استيقظت ماديسون مجفلة بسبب الضوء الوهّاج والصوت المفاجىء. ما الذي يجري؟ مضت لحظة قبل أن تدرك ما يجري من حولها. عندئذٍ انتصبت جالسة، وهربت من بين ذراعي هاري بسرعة، ثم وقفت في وسط المصعد أشبه بحيوان يدافع عن نفسه. راحت تعوّد عينيها على مواجهة أشعة الشمس الباهرة التي أضاءت المصعد، فرأت مجموعة صغيرة من الناس مجتمعة تتفرج بفضول.

ولسبب ما، غريب، وجدت نفسها تلتفت إلى هاري. لكن، إذا ما علّقت آمالاً على تلك الالتفاتة لتطمئنها، فقد ضاعت آمالها. فما زال جالساً على الأرض. لكنها لم ترَ الرجل الذي بذل جهده للتخفيف من مخاوفها، أو حتى الرجل الذي أثار فيها تلك العواطف، بل اكتشفت مخلوقاً أشبه بأسد ضخم متذمر. يا إلهي! أتراها نامت حقاً بين ذراعيه؟ لو كان هناك أيّ إضاءة في المصعد، لبقيت بعيدة عنه قدر إمكانها.

بدا مظهره رجولياً رهيباً. والملامح المغرية التي تلّمستها ببراءة ظهرت أمامها فجأة بشكل بالغ الصلابة والخشونة والإصرار. وأحسّت في كل خط من خطوط جسده بسلطة كامنة، تلك السلطة المتأتية عن تفوّق ذهني وإرادة لا تُقهر. ظنت نفسها محبوسة مع حمل وديع، وإذا بها قد

www.elromancia.com

وقعت في شرك مع ملك الغابة.

شبكت ذراعيها على صدرها وأخذت تحملق فيه بحنق بالغ. كيف أمكنه أن يصف نفسه بأنه غير مؤذٍ؟ الشعر الكثيف الذي تجرأت على العبث فيه، كان ذا لون بني يميل إلى الذهبي أشبه بلون عفرة الأسد، حتى عينيه ذكرتاها بحيوان مفترس سجين.

وسألها بصوت منخفض:

ـ حسناً؟ هل أنا كما كنت تتصورينني؟

حثتها غرائزها الأنثوية على الهرب من المصعد، ولكن بما أنها تعتبر هذه الغرائز غير عقلانية، فقد تشبثت في مكانها بغباء.

ـ لست كما تصورتك أبداً. والأسوأ هو أنك أخفيت الحقيقة عني. من المفترض أنك مجرد رجل اسمه هاري.

ـ لكن اسمي «هاري» فعلاً.

ـ حسناً، لكن هذا غير منطقي. فاسم هاري عادي مأمون بسيط. وأنت غير مأمون الجانب أبداً. كان يجب أن تحمل اسماً من تلك الأسماء التي تنبه الناس مثل (المرعب) أو (الخطر) أو (الصياد). كما قلت إنك اقتصادي.

فتنهد قائلاً: «لكنني اقتصادي فعلاً».

ـ لا. هذا غير صحيح، أنت أسد، وخداعك لي لا يعجبني أبداً.

نهض ببطء، قاضياً على أيّ أثر لفكرة أنه رجل مأمون الجانب، ومحتلاً المصعد الصغير بجثته الضخمة. تراجعت ماديسون إلى الخلف خطوة رغم تصميمها على الثبات مكانها. كيف لم تره عندما دخلت المصعد في البداية؟ هذا يثبت أنّ قوة الملاحظة لديها شبه معدومة. لكن السبب هو ذلك الكتاب التافه... وشدّت سترته حولها فملأت رائحته خياشيمها، ولكن بدل أن تزيد شعورها بالرهبة، إذا بها تطمئنها، هذه رائحة الرجل الذي حماها، وليس الرجل الرهيب الواقف أمامها الآن.

ـ هنالك أمر آخر لن يعجبك، وقد حاولت أن أطلعك عليه من قبل،

لكن النوم استولى عليك.

ـ هل هي حقيقة أخرى أهملت ذكرها؟ إنه خبر سيء، أليس كذلك؟

ـ نعم، سيء بالنسبة إليك.

ـ هاري! ماديسون!

واندفعت هاربيت، أيّ «ساني» سانفلاور، من بين الحشد ودفعت باب المصعد، جارّة خلفها رجل وسيم كبير الحجم. كانت يدها في جيب سترته بتشبث بالغ أفسد مظهر الحرير الإيطالي الغالي الثمن. وبتلك الابتسامة الولهى على شفتيه، بدا غير مهتم لذلك، وكأنه أطلق لـ«ساني» العنان لتحقق نزواتها. ونظراً لكثرة نزوات جدة ماديسون، كان هذا يعني الكثير الكثير.

قالت ماديسون تطمئنها: «أنا بخير يا «ساني»».

ودارت حول هاري ثم خرجت من المصعد.

ـ طبعاً أنت بخير يا عزيزتي ما دام هاري معك.

انتبهت ماديسون إلى أنّ «ساني» استعملت اسم «هاري»، فالتفتت إلى مرافقها الساعات الماضية وقد تملّكها شعور بالارتياب.

ـ أتعرفين هاري، يا جدتي؟

تمتمت ساني: «آه، يا عزيزتي... يبدو عليك الإستياء».

ـ جدتي...

قالت ساني تخاطب الرجل الذي يمشي خلفها.

ـ إنها لا تناديني بجدتي إلاّ عندما تكون مستاءة ولا أدري ماذا فعلت هذه المرة. هل من المفترض بي ألاّ ألاحظ هاري؟ لكن ما دام ابنك، فلِمَ لا ينبغي عليّ ذلك، خاصة بعدما تعارفنا أمس في المطار.

بدت ساني ومرافقها في سن واحدة، فالإثنان في بداية الستين والإثنان ينضحان حيوية ودفئاً وظرفاً وهذه ما كانت ماديسون تلاحظه في جدتها وهي الصفات التي تكسبها الكثير من الأصدقاء الحميمين وبسهولة تامة.

ولم تكن تحتاج إلى ذكاء بالغ لتعرف هوية صديق جدتها رغم أن

دماغها لا يعمل بحيويته المعتادة. لا شك أنّ هذا الرجل هو بارتلوميو جونس الشنيع. وهذا يجعل هاري...

وقال بارتلوميو يطمئن «ساني».

ـ أنا واثق من أن ماديسون ستخبرنا بما يزعجها إذا أفسحت لها المجال لذلك...

فقاطعته ماديسون: «أظنك السيد جونس؟ لا أعتقد أننا تعارفنا بشكل رسمي».

ـ إنها غلطتي، مع الأسف. اسميني بارتلوميو من فضلك. وأرى أنك تعرفت إلى ابني. آسف لأنّ تناول الغداء معكم قد فاتني. فتوقيع الكتاب تطلب وقتاً أطول مما كنت أظن. لهذا أرسلته قبلي ليبلغكما بذلك أنت وساني، مع اعتذاري.

ومد يده مصافحاً، فاضطرت ماديسون إلى مصافحته قبل أن تلتفت إلى هاري. كان قد خرج من المصعد بدوره ووقف خلفها، ويبدو أن وجوده قد أثبط همة الفضوليين حولهما، فأحذوا يتفرقون تاركين لهما مجالاً للانفراد. لكنها لن تسمح لحجم هاري بأن يرهبها كما أرهب الآخرين كلهم، كما أنها مستعدة لمواجهة الأعيبه.

وسألته: «لماذا لم تطلعني على هويتك الحقيقية؟ ولا تقل لي إنك لم تكن تعرف صلتي بساني، فأنا لن أصدقك».

ـ كنت أعرف من تكونين منذ البداية. لهذا بقيت في المصعد بدلاً من الخروج منه عندما وصلنا إلى الطابق الذي تسكن فيه جدتك. فكرت في أننا بحاجة لأن نتحدث على انفراد.

ـ وهكذا كذبت علي.

فقال من دون أن يعتذر: «لم أخرج عن حدود اللياقة عندما لم أعرّفك بنفسي. فقد كنت متوترة الأعصاب حين انحبسنا في المصعد ولم أشأ أن أزيد الأمر سوءاً».

ـ لقد خدعتني، تركتني أتحدّث عن الكتاب وعن جدتي والتفاصيل

الشخصية كلها بدون أن تحذّرني من أنني أبدو غبية، كيف أمكنك ذلك؟

ـ لم تكوني غبية، بل مجرد حفيدة محبة ومهتمة بجدتها.

وعقد ذراعيه على صدره وأخذ يحدّق فيها بهدوء جعلها تشعر بالحسد. وتابع: «كما حاولت أن أحميك من نوبة هستيريا».

ـ لم تتملكني الهستيريا يوماً.

ـ عليكِ أن تشكريني على هذا. فقد أخذت أتحدث إليك عن مبادىء الحب. ولو أطلعتك على اسمي الكامل، لما رغبت في التّحدث إليّ ولأمضيت الوقت كله وأنت تحاولين صرف ذهنك عن مأزقنا.

قاطعتهما ساني: «أليس ذلك رائعاً؟ كانا يتناقشان في تلك المبادىء يا بارتلوميو. أرى حباً في مستقبلهما».

صرخت ماديسون بقنوط: «أنت لا ترين حباً في مستقبلنا، يا جدتي، لأن تلك المبادىء الحمقاء غير فعّالة. إننا نتمتع بمناعة ضدها».

وبدا التغضن على وجه ساني: «هل أنت واثقة من ذلك يا عزيزتي؟».

وأخذت ماديسون تتساءل بقنوط عما يجعل جدتها على هذا النحو. فأيّ انتقاد أو حزن يجعلها تذوي كالزهرة، ولو لم تكن تعرفها جيداً، لظنتها تتعمد ذلك. قالت لها:

ـ آسفة يا جدتي. لكن المبدأ الأول هو (بعد نظرة واحدة...). أنا وهاري لم نر بعضنا بعضاً إلا منذ دقائق.

ورمقت هاري بعبوس وغيظ قبل أن تضيف: «وما إن رأيته حتى أدركت أن أيّ علاقة بيننا لا يمكن أن تنجح.. لقد خدعني بالنسبة إلى مظهره، وتظاهر بأنه حمل وديع».

تمتم هاري قائلاً: «هذا غريب. أذكر أنني حذرتك من أن شكلي يبعث على الرهبة، في حين أنّ الحملان لا تبعث على الرهبة».

أخذت نظرات ساني القلقة تنتقل بينهما وسألتهما.

ـ لكنكما جلستما معاً وتحدثتما، أليس كذلك؟

أجابتها ماديسون معترفة: حسناً... نعم».

- وقد انجذبتما إلى بعضكما البعض، أليس كذلك؟

توهجت وجنتا ماديسون، فأشرق وجه ساني وهي تقول:

- يا للفتاة الحمقاء! قلت لك إن المبادىء نجحت. أنت وهاري متجاوبان، تماماً مثلي ومثل بارتلوميو. لديّ فكرة، لماذا لا نتناول طعام العشاء معاً الليلة؟ الساعة السابعة في «مطعم ميلانو». سأتصل بجو ميلانو وأطلب منه حجز مائدة خاصة.

قال هاري: «يمكنك أن تطلبي لحم غنم مشوياً».

فاحتجت ماديسون قائلة: «انتظري لحظة، كيف تقولين إنّ المبادىء نجحت؟ ما الذي تتحدثان...».

لكن ساني وبارتلوميو أصبحا في الردهة، فيما تقدم هاري منها وأمسك بذراعها.

- إنها تتحدث عن المبدأ الثاني، لو قرأت من الكتاب أكثر من ثلاث صفحات، لوصلت إليه.

- أخشى أن أسأل عن المبدأ الثاني؟

- يمكن لصوت الحب أن يكسب أكثر القلوب عناداً. لعلنا لم نرَ بعضنا البعض، لكننا تحدثنا معاً.

ورمقها بنظرة جانبية عابسة ثم تابع يقول: «في الواقع، أدّى ذلك الحديث إلى ما هو أبعد وأجمل. الحمد لله على حمرة الخجل على وجهك، فقد لاحظاها».

- لا يمكنني منع وجهي من الاحمرار.

- أعرف هذا.

وتابع بلطف قبل أن تتمكّن من التعبير عن انزعاجها:

- كما أعرف أنك لو استطعت التحكّم بهذه المشاكل، لفعلت.

- هل هذا تبجح منك؟

- نعم.

أخذت تفكر في متابعة هذا الهجوم، ثم عادت وقررت أن من الأفضل

بذل طاقتها على أمور أخرى أكثر أهمية. فقالت: «لا حاجة بنا إلى القلق، سيدعان هذا الهراء عندما يلاحظان أننا لا نهتم ببعضنا البعض».

- وما الذي يجعلك تظنين أننا لسنا كذلك؟

لوّحت بيدها تنفي ذلك، ثم قالت: «لا تكن سخيفاً. دقائق قليلة في مصعد معطل لا تصلح أساساً لعلاقة عاطفية».

- هذا غريب، فأنا أتذكر أننا تحدثنا عن مشروع علاقة.

احمرت وجنتا ماديسون مرة أخرى. عليها أن تجد طريقة تتحكم بها باحمرار وجهها.

وقالت بحدة: «هراء، أنت تحدّثت، وأنا رفضت. وبعدما رأيتُ سلوكي الخاطيء ذاك، أرفض ذلك حتماً».

- لا يمكنك الرفض. فقد ختمنا اتفاقنا بعناق.

- اتفاق؟

واستدارت تواجهه، فاكتشفت أنّ عليها أن ترفع رأسها كثيراً. من الغريب أن الكتفين اللتين وجدتهما منذ وقت قصير مريحتين، تبدوان الآن مخيفتين. لكنها لن تجعله يرهبها أبداً. فهو يخيف المدراء وأصحاب الملايين والمليارات والشركات الضخمة، لكن ليس هي. وتابعت تقول: «أنا لم أوافق على أمر كهذا».

- أنت عانقتني، يا حبيبتي.. طوقتني بذراعيك وتشبثت بي، إذا كان هذا لا يعبر عن انسجام واتفاق، فلا أدري ما هو.

أرادت أن تتراجع أكثر من أي شيء آخر، لكنها استجمعت شجاعتها كلها، وثبتت في مكانها واضعة يديها على وركيها. رفعت ذقنها، ثم رمقته بنظرة عنيفة قاسية، فبدت أشبه بقطة صغيرة تموء في وجه أسد.

- عانيت من رهاب الأماكن المقفلة، ولم أكن في حالة عقلية جيدة، لذا لا يمكنك أن تلومني على ما حدث.

- أنا لا ألومك. في الواقع، اختاري الوقت أو المكان اللذين يناسبانك لتكرري ما حدث، وسيسرني جداً أن ألبّي النداء.

www.elromancia.com

ـ آه، يا للشهامة!

ربما لاحظ تهكمها لكنه لم يظهر ذلك، بل تركها تتابع: «ربما على الناشرين أن يغيروا اسم كتاب أبيك، فبدلاً من أنّ يسمّوه (مبادىء الحب) يطلقون عليه اسم (ألف باء الرغبة) لأن ذلك كل ما جرى بيننا، الرغبة وليس الحب».

ـ فكرة ممتازة سأذكرها لأبي.

أما من شيء يزعج هذا الرجل أبداً؟ وقررت أن تغيّر أسلوبها: «ماذا سنفعل بالنسبة إلى العشاء؟».

ـ أتعنين أيّ عذر علينا أن نختلقه لنتهرّب منه؟

وأخيراً أدركت أنهما يملكان صفات مشتركة، ولا بدّ أنه يوافقها الرأي، فقالت:

ـ بالضبط، قلت إنك هنا في عمل، وسنستخدم هذا العذر.

ـ لا. لن نستعمل هذا.

فنظرت إليه ساخطة، وقالت: «يمكنني اذن أن أدّعي بأن لديّ موعداً».

ـ هذا خيارك. لكنني أنوي حضور ذلك العشاء.

ألا يفهم أيّ مشكلة ستنتج عن ذلك؟ قالت له:

ـ لا أظنك جاداً. لقد سبق أن جمعانا معاً. وتصرفك هذا سيزيد الأمر سوءاً، وسيجعلها.

فلم يهتم لتذمرها وأجابها: «أريد أن أتناول العشاء مع أبي. فأنا أحبه، كما أحب جدتك ولا أمانع في أن أعمّق معرفتي بها».

وابتسم لها ابتسامة جذابة للغاية. يبدو أنه قرر أن يستخدم أسلوب إرهاب آخر، إذ أردف: «هيا، يا ماديسون، ما الضرر في ذلك؟ إنها طريقة ممتعة لقضاء السهرة».

وأخذت تفكر في الأمر، فإذا رفضت الذهاب، فستبدو كالحاقدة. ولكن إذا ذهبت، فقد يبدو أنها خضعت للضغط.

عليها أن تغامر. الأفضل أن تراقب ساني وصديقها خبير الحب هذا بانتباه لئلا تخرج علاقتهما عن السيطرة.

ـ حسن، لا يمكن أن ترغمنا ساني على إقامة علاقة في مثل هذا الوقت القصير. ولن ننتهي بالتزام أو خطبة أو ما شابه.

ـ طبعاً لا. على أي حال لا يمكننا أن ننجح في المبادىء العشرة أثناء وجبة طعام واحدة. انظري كم من الوقت أمضينا في المصعد، ساعات على الأقل.

واتسعت ابتسامته مسبغة عليه مظهر الوحش المفترس مما جعل أعصابها تتوتر، ثم أضاف: «طوال ذلك الوقت الذي أمضيناه وحدنا لم نختبر سوى المبادىء الثلاثة الأولى. لذا، لن يتسنى لنا الوقت لاختبار أكثر من مبدأ واحد أو اثنين على العشاء».

جعلها كلامه هذا تجمد في مكانها. كانت تعرف المبدأين الأولين، فما الذي جعلهما ثلاثة، فجأة؟ وتنحنحت ثم قالت:

ـ من باب الفضول فقط. ما هو المبدأ الثالث؟

ـ لاكتمال التآلف، استعملا على مهل حواسكما كلها.

وبدا سرور بالغ على ملامحه، وهو يقول: «يمكنني القول إننا مررنا بهذا المبدأ أيضاً، أليس كذلك؟».

واستعادت ماديسون في ذهنها ما جرى: «النظر» «السمع» «واللمس». لعل معرفتهما ببعضهما البعض حديثة العهد، لكن النتيجة النهائية مذهلة. وهناك العطر، ذكرى عطره المميز عادت إليها فأدركت فجأة أنها ما زالت ترتدي سترته.

خلعتها عنها بسرعة ثم ألقت بها إليه، متظاهرة بأنها لم تلاحظ ابتسامته الراضية. لكن خلع سترته لم ينفع، وشعرت، وقد تملكها الانزعاج، بأنها ما زالت تشم رائحته.

لقد أصبحت رائحته، بشكل ما، جزءاً منها، مما حذّرها من شخصيته المتميزة. واستدارت على عقبيها فجأة. لكنه أمسكها من ذراعها

ثم أدارها لتواجهه، وأمام كل الموجودين في الردهة، عانقها مرة أخرى ثم قال: «تهانيّ يا ماديسون، فقد أنهيت المبادىء الثلاثة بنجاح وذلك في ثلاث ساعات. ولا أدري إذا كان هذا زمناً قياسياً».

فاستنكرت بحدة: «هذا غير ممكن».

ـ بل ممكن. كم مبدأ يمكننا أن نختبر برأيك قبل أن ينتهي العشاء؟

فقالت وهي تتملص من بين ذراعيه: «ولا أيّ واحد!».

فرد وهو يلامس خدها: «خمنّي مرة أخرى. قاومي إذا كان الأمر يسعدك. يا حبيبتي، لكنني سأحصل عليك في النهاية».

ـ لن تستطيع إرهابي، يا هاري.

فأومأ موافقاً: «حسن. فأنا لا أريد امرأة أرهبها، بل أريد امرأة تماثلني».

لم يمنحها فرصة لتجيب، وهذا أفضل لأنها لم تجد ما تقوله. وعانقها عناقاً أخيراً، عناقاً لم تستطع مقاومته ثم تركها واقفة في وسط الردهة ليبتعد. حملقت في ظهره الذي بدا عريضاً جداً وجذاباً كجسمه كله، ثم استدارت مبتعدة. يا له من رجل لا يطاق! لا يهمها نجاح المبادىء الأولى، فهي لن تسمح لهذه القواعد الغبية بأن تملي عليها حياتها العاطفية. هناك اعتبارات أخرى أهم، اعتبارات دونتها بعناية تامة في يومياتها. ولم تكن قائمة المزايا تتضمن رائحته وملمسه.

لم تستطع مقاومة رغبتها في اختلاس نظرة أخيرة إلى هاري. والآن، وبعد تفكير في الأمر، رأت أنّ تنقيح المواصفات التي دونتها في يومياتها لن يَضر. وعلى أيّ حال، التجربة تؤدي إلى التحسين، وبعد مقارنة ما دونته في يومياتها بهاري، ستجد مجالاً لإضافة بعض التفاصيل.

***

أعلنت ساني قائلة: «هدوء أرجوكم، لدينا الكثير لنقوله، والوقت قصير».

قالت روزي: «لا يمكنني الابتعاد عن المكتب طويلاً. ماديسون تكاد

تنهار عندما لا أكون معها لأساعدها».

عندها أومأت ساني قائلة: «أنت مساعدة ممتازة. لولاك لما عرفنا ما نقدّمه لماديسون في عيد ميلادها. كلنا شاكرون لك».

وتصاعدت موافقة جماعية من أعضاء أسرة سانفلاور، فضحكت روزي:

ـ عندما يحين موعد المفاجأة الكبرى، تذكروا أن الفضل يعود لي.

ـ لن ننسى.

وأمسكت ساني بكتاب بارتلوميو ثم أضافت: «المرحلتان الأولى والثانية انتهتا بنجاح. لقد جاء هاري وتلاقى الاثنان».

فقال دافيد ضاحكاً: «كان أكثر من مجرد لقاء. لا أظنك اقترحت تعطيل المصعد».

فابتسمت ساني بتواضع، وأجابت: «المهندس المسؤول عن المبنى مدين لي بخدمة. واجتماعهما في مصعد واحد بمفردهما حيلة منه. لكن تبيّن أنها أفضل جهودي».

فسألتها ديل: «ما هي المرحلة الثالثة إذن، وكيف يمكننا المساعدة؟».

ـ لن تكون صعبة، لاسيّما بالنسبة إلى عضو من أسرة سانفلاور. لحسن الحظ، من عادة ماديسون أن تنسى كل شيء ما عدا المشروع الذي تعمل عليه.

قال دانيال: «إنها ميزة مؤسفة ورثتها عن أبيها».

فهزت ساني كتفيها بفروغ صبر، قائلة: «لا يمكننا تغيير ذلك. وبدلاً من النواح على هذه الميزة المؤسفة يمكننا استعمالها لمصلحتنا».

فسألتها روزي: «كيف».

ـ سنعطيها مسألة هامة تركز أفكارها عليها، وعندما يصرف ذلك ذهنها عن أيّ شيء آخر، نبدأ بتنفيذ خطتنا. سنجتمع على العشاء الليلة فأضع الأساس لخطتنا.

ـ ستكون مسرورة لبراعتنا.

ـ وستشكرنا.

ـ ستكون أفضل هدية في عيد ميلادها.

فرفعت ساني يدها تسكتها: «بعد كل ما فعلته ماديسون من أجلنا، تستحق أفضل هدية منا، وبعد أن تعرّفت إلى هاري، يمكنني الجزم، وأنا سعيدة، بأنه الأفضل. يمكننا أن نثق بأن مشروع الزواج الذي بدأناه سينجح تماماً، ويمكننا أن نثق بأن ماديسون ستكون شاكرة لنا إلى الأبد».

فقال هارلي: «شاكرة إلى حد زيادة مخصصاتنا».

فقالت ساني ضاحكة: «صدقني، أنا مهتمة بهذا الأمر أيضاً».

***

وقف هاري في ردهة برج «كينغ تاور» وأخذ يتأمل ماديسون وهي تدخل المبنى ثم هز رأسه غير مصدق. إنها واحدة من أجمل النساء اللاتي عرفهن، لكنها لا تدرك ذلك، ولعل ذلك يعود إلى قلة تركيزها. ولأن مظهرها لا يهمها، فهي لا توليه سوى القليل من الانتباه، ومع ذلك تنضح منها رشاقة وفتنة طبيعيتين طاغيتين. كان شعرها مسدلاً على كتفيها، فاكتشف أنه أطول مما توقّعه. ولم تكن تضع الكثير من الزينة، إذ لم تكن بحاجة إلى ذلك، فأهدابها الكثيفة السوداء تلفت الانتباه إلى عينيها السوداوين الواسعتين. ولاحظ أنّ خطواتها الواسعة اضطربت قليلاً لحظة رأته وعيناها تألقتا كالنجوم، لكنها أخفضت أهدابها لتخفي سرورها. إنّما لم يكن هناك ما يخفي نعومة شفتيها، أو تسارع أنفاسها الضئيل. وعندما رفعت بصرها مرة أخرى، كشفت نظراتها الحذرة عن افتتانها به كرجل. وقفت على بعد أقدام منه وكأنها ترجو أنّ تشكّل هذه المسافة حماية لها.

اجتاز المسافة بخطوة واحدة، سامحاً لكل الأحاسيس التي تنكرها بعنف، بأن تسخن الجوّ بينهما بالتوتر.

قال هاري متمهلاً: «ها قد جئت».

ـ لا تجرب حيلك الإرهابية عليّ.

فرفع حاجبه متسائلاً: «حيل إرهابية؟».

ـ لقد حدثتني عنها في المصعد، هل نسيت؟ تحضر مبكراً، لتبعث ضخامة حجمك التوتر للآخرين. والتزامك الصمت كي يندفع الآخرين إلى الكلام و...

وسكتت فجأة، فأكمل قولها: «ويفضحون أنفسهم؟».

ـ أنت رجل صعب المراس، يا هاري جونس.

فقال بعطف: «نعم، أنا كذلك، إننا متماثلان من هذه الناحية، أليس كذلك؟».

عندئذٍ أشرق وجهها وتأبطت ذراعه، قائلة: «نعم. إننا كذلك. نحن الاثنان صعبا المراس ونرهب الآخرين».

ـ كما أننا عمليان ومنطقيان.

ـ وهذا هو سبب نجاحنا في عملنا.

ونظرت حولها قبل أن تضيف:

ـ أظننا اتفقنا على أن نتقابل في مطعم «ميلانو»، أليس ذلك؟ في قمة برج «كينغ تاور»؟ ما الذي تفعله هنا في الردهة؟

ـ فكرت في أن نصعد معاً.

سكتت للحظة واحدة، ثم قالت: «هل كنت قلقاً عليّ، يا سيد جونس؟».

ولم يستطع أن يكتشف ما إذا كانت الفكرة تسرها أو تزعجها.

ـ هل خشيت أن تنتابني نوبة خوف من الأماكن المقفلة؟

فقال كاذباً يطمئنها بهدوء وهو يضغط زر المصعد.

ـ لا، أبداً، ما حدث عند العصر مصادفة ونتيجة اجتماع عوامل مختلفة، ومن غير المحتمل أن يتكرر مجدداً.

ـ ولكن إذا حدث، فهل تريد أن تكون موجوداً؟

ضحك وأجاب: «طبعاً».

ووصل المصعد في تلك اللحظة، فتبعها إلى داخله.

وسمع تنفسها يتغير ولاحظ وجهها يشحب، فتمنى أن يضمّها إليه إلى أن يصلا إلى القمة. وعضّ على شفتيه، فلن يكون ذلك عملياً، أو هذا ما ستقوله.. أطبق يده على يدها وأخذ يتكلم... كان حديثاً خفيفاً تافهاً لا يتطلب تفكيراً أو جواباً. وعندما وصلا إلى المطعم، ترك يدها. فابتسمت له ابتسامة شاكرة قبل أن تخرج من المصعد وتجتاز الممر المبلط بالرخام الوردي العاجي. وتمالكت نفسها، ثم سألته:

ـ كنت أريد سؤالك من البداية. ألم يصل ساني وبارتلوميو بعد؟

ـ لا.

أومأت ماديسون وكأنها توقعت ذلك.

ـ يريدان منا أن ننفرد ببعضنا البعض، آملين أن تتطوّر الأمور بيننا. لا أظن أنّ هذا مبدأ آخر من مبادى أبيك عن الحب؟

ـ في الواقع...

ـ السيد جونس، الآنسة أدامز؟

استنهم رجل يرتدي سترة عشاء رسمية على صدرها وردة بيضاء وهو يتقدم نحوهما من خلف المكتب قبل أن يضيف: «مرحباً بكما في مطعم «هاوس ميلانو». اسمي جورجيو».

وانحنى محيياً: «طلب السيد ميلانو منا حجز أفضل مائدة لكما. هلاّ تفضلتما ولحقتما بي».

اجتازوا قاعة الطعام الرئيسية التي يمتزج فيها سحر العالم القديم بالترف العصري. جدران زجاجية تبرز مشهداً للمدينة لا مثيل له، وموائد متفرقة تحيط بساحة الرقص حيث تعزف الفرقة موسيقي «الجاز». وبدا الإعجاب على هاري، فابتسم جورجيو قائلاً بمودة:

ـ أظن أنها المرة الأولى التي تزور فيها مطعمنا؟ ستجده مكاناً رائعاً لقضاء السهرة.

قادهما جورجيو إلى بوابة صغيرة، تؤدي إلى ممّر مزيّن. فرأيا موائد تفصل بينها جدران منخفضة ونباتات رائعة، موفرة للآكلين مزيداً من

الحميمية ومناظر مذهلة للمدينة. أدرك هاري أنّ هذا القسم من المطعم ابتدعته مخيلة شاعرية. وقال جورجيو بصوت خافت:

ـ نحن نحجز هذه الموائد للخاصة من زبائننا، وساني هي إحدى الزبائن المفضلين عند السيد ميلانو. إنها أكثر النساء ظرفاً.

فقالت ماديسون: «هذا ما يظنه معظم الناس».

ـ دون شك.

وسحب كرسيها لها وهو يقول: «أرجو أن تزوري باحة الرقص. سأعود فيما بعد لآخذ أوامركما. طلب مني السيد ميلانو أن أهتم بما تطلبانه شخصياً».

انتظرت ماديسون حتى ابتعد النادل ثم قالت: «هاري؟».

فلم يرفع بصره عن قائمة الطعام، إنما قال:

ـ حاولي ألاّ تقلقي يا ماديسون، ستنتهي الأمور على ما يرام.

ـ ما الذي يجري؟

ـ أبي وساني متحمسان للغاية وهذا كل شيء.

فضاقت عيناها وسألته:

ـ متحمسان للغاية؟ أنا أعرف المشروع حين أراه، وهذا مشروع بكل تأكيد. فما الذي ستفعله بهذا الشأن؟

طوى هاري القائمة ببطء متعمّد ثم سمّر نظراته على ماديسون: «ما الذي تقترحينه؟».

ـ علينا أن نضع خطة لمنعهم من ذلك.

فرفع حاجبه وسألها: «لمنعهم من ماذا بالضبط؟ من تناول العشاء الليلة؟».

ـ لا. أظننا اتفقنا على أن ساني لا تستطيع...

ـ لعلك تظنين أنّ تعطيل المصعد خطة لجمعنا معاً؟

ـ لا تكن سخيفاً. أنا طبعاً لا أظن ذلك.. ساني امرأة بارعة، ولكن ليس إلى هذا الحد.

ـ فهمت. ما جرى بيننا في المصعد هو ما أثارك إذن؟
ـ لم يسعدني ذلك، إذا كان هذا ما تعنيه. ألم يزعجك ما حدث؟
ـ في الحقيقة، ما حدث حين خرجنا من المصعد أزعجني أكثر.
فقطبت حاجبيها وسألته: «ماذا تعني؟».
ـ ما إن أضيء المكان، حتى اختفت المرأة التي عانقتها.
ومال على المائدة يتأملها بإمعان وتصميم: «وأريد أن أستعيدها».

***

٤ ـ قرّر ما هو الأهم..

المبدأ الرابع: قد يدمّر الخوف أقوى العلاقات. عليك أن تقرر ما هو الأهم عندك.. الحب، أم حماية نفسك من صدمات الحياة

***

لم تحوّل ماديسون نظراتها، بالرغم من الحذر الذي بدا في عينيها.
ـ لم أكن بحالتي الطبيعية في ذلك المصعد.
لكن هاري لم يدعها تفلت بهذا الإدعاء: «بل كنت على طبيعتك أكثر منك في أي وقت مضى. لقد حررك الظلام من القيود اليومية العادية، ولكنك لا تريدين الاعتراف بذلك. لماذا؟».
انفجرت تقول بحرارة: «أتلومني؟ أتظنني سعيدة باعترافي بأنني عانقت رجلاً غريباً عن طيب خاطر؟ و.. و..».
ـ ويتملكك الإغراء لمواجهة عاطفية قصيرة معه.
إنه يدفعها إلى الكلام بقسوة. وتصلب ظهرها واستدارت تتأمل منظراً كان يشك في أنها تراه فعلاً.
ـ ما كنت لأصل إلى ذلك الحد أبداً.
ـ يمكن لذلك أن يحدث.
ـ غير ممكن.
فبدا عليه الاستمتاع، وهو يسألها: «هل هذا تحدٍّ منك؟».
ـ لا!
ـ بل هذا ما بدا لي.

www.elromancia.com

ـ هل لك أن تلتزم الجد من فضلك؟

ـ أنا جاد للغاية، لقد انجذبت إليّ في ذلك المصعد بقدر ما انجذبت إليك. وما زال شعورنا على حاله ولم يتغيّر.

ومدّ يده وأمسك بذقنها، مديراً وجهها برقة لتواجهه، فلاحظ شيئاً من اليأس يصارع المشاعر التي تحترق في نظراتها.

لكنها صرخت به: «أنت مخطىء».

ـ أحقاً؟

ولم يستطع منع نفسه من أن يلامس ذقنها بإبهامه، وراح يتأملها فرأى أحاسيسها تنفخ شفتيها وتصبغ وجنتيها وتصعد إلى عينيها وهذا ما صدمه بعنف. لو لم يكونا في مكان عام، لعانقها وأظهر لها مدى شوقه إليها، ولجعلها تعترف بمشاعرها التي ستعجز عن السيطرة عليها.

ـ أليس مسموحاً لك بأن ترتبطي بي يا ماديسون.

ـ لا، هذا غير صحيح..

فلوى شفتيه وسألها: «هل هذا من الناحية العملية؟».

ـ نعم. لا.

وأغمضت عينيها بقنوط ثم أضافت: «يمكنني ذلك يا هاري، لكنني لا أستطيع أن أشغل بالي. لديّ أسرة عليّ أن أرعاها، فهم يعتمدون عليّ».

ـ لن تذهب أسرتك إلى أيّ مكان، ولن تنتهي مشاكلها. أتظنين حقاً أنهم يتوقعون منك أن تقضي أيامك في العناية بهم؟ حتى على حساب حياتك الخاصة؟

ـ ليس هذا هو الموضوع.

ـ أنتِ على حق. ليس هذا هو الموضوع، بل هذا.

واقترب منها يعانقها.

ـ هاري.

همست اسمه بضعف وعجز. وعندما ابتعد عنها ليعود ويدنو منها قابلته في منتصف الطريق. لقد عادا إلى المصعد وتاها في غفلة من الزمن.

وتأوهت بسعادة غامرة، لكن ملامحها الحذرة بقيت تنبّهه إلى أنّ استسلامها لم يكن كاملاً. مما أرغمه في النهاية على إطلاق سراحها.

ـ ماديسون، لماذا تقاومينني؟

تنفست بعمق يوحي بأن تأثير ذاك العناق أكبر من أن تعترف به.

ـ هنالك أسباب كثيرة.

ـ سمّيها لي.

فقالت من دون أن تخفي انزعاجها: «ها قد عدت إلى طبيعة المستشار المالي. أنا لست مشكلة يمكنك مناقشتها».

ـ حسن، لن أناقش.

وانتظر إلى أن استوعبت كلامه ثم تابع يقول: «هيا يا حبيبتي، أخبريني الأسباب التي تمنع نجاح علاقتنا».

ـ أولاً، أبوك وجدتي».

ـ ما هي المشكلة؟

ـ إنهما يخرجان معاً، ماذا لو لم تنجح تلك العلاقة؟ ستتعقد الأمور بيننا.

صرف هذه الفكرة بحركة من رأسه، وأجاب: «أبي وساني راشدان، وما يفعلانه أمر لا يعنينا».

فتوترت شفتاها وقالت: «كل ما يؤثر في فرد من أفراد أسرة سانفلاور يعنيني».

ـ إذا ما وافقتك ساني على كلامك هذا، وأشدّد على حرف (إذا)، فهناك إمكانيتان: «إما أن يقع أبي وجدتك في الغرام ويتزوجان، وفي هذه الحالة سيسرهما أن نحذو حذوهما. وإما أن يفترقا كصديقين، وفي هذه الحالة ما سيحدث بيننا لن يؤثر فيهما».

ـ وما أدراك أنهما سيفترقان كصديقين، فالعلاقات لا تنتهي على هذا النحو.

ـ هذا ما يحدث في أسرتي، وماذا بعد؟

بدا عليها وكأنها تريد أن تتابع النقاش، وكانت لتفعل ذلك لو شعرت بأنها تملك السلاح اللازم. ولأنها لن تستطيع دحض مزاعمه، دفعتها الحكمة إلى تغيير مقاربتها: «وهناك كتاب والدك».

ـ وماذا عنه؟

ـ أنا لا أتفق معه. أظن أنه..

فقاطعها بقوله: «أعتقد أننا سبق أن اتفقنا على ما تظنين».

ـ أرأيت؟ لقد جعلتك تغضب.

ـ سأنسى ذلك. ورداً على طرحك الأخير، أنا واثق من أنك ستكتشفين في النهاية خطأك.

وابتسم بجفاء قبل أن يضيف: «ومع ذلك، لدينا الطباع نفسها، كما قلت بنفسك، وما دمت مقتنعاً بأن الكتاب على صواب، فستقتنعين أنت أيضاً مع مرور الوقت. ماذا أيضاً؟».

ـ لم أنتِه بعد من آخر اعتراض. لدي الكثير لأقوله في هذا الموضوع.

ـ دون شك، لكنني قررت أننا انتهينا من الحديث عن الكتاب. انتقلي إلى سواه.

اختطفت قائمة الطعام ودفنت غضبها بين صفحتيها. وأدرك أنها لم تتعوّد أن يتحداها أحد، وأنّ هذا لم يعجبها. من الواضح أن أفراد أسرة سانفلاور طيّعون، وقد سلموا أمورهم لطبيعتها المستبدة. لكنها فقدت القدرة على المناقشة، وعليه أن يقنعها بضرورة التسوية الودية. فلن يكون هناك مسؤول واحد ورابح واحد دوماً، ولم يكن يفكر بهذا النوع من العلاقات... على الأقل ليس في بيته.

قالت وهي تدس أنفها في القائمة: «لن يسمح لنا انشغالنا في العمل بأيّ علاقات شخصية».

أخذ منها قائمة الطعام، قائلاً: «إذا استطعت أنا أن أجد الوقت اللازم، فأنت تستطيعين. أنا واثق من أنّ ساني سيسرها أن ترتب مع أفراد الأسرة مسألة منحك إجازة لأيام».

ـ هذا غير ممكن، عملي هو الاهتمام بهم وأنا أرفض التهرب من مسؤوليتي.

ـ هذا يكفي، لقد درنا حول الموضوع بما فيه الكفاية. حتى الآن لم تقدمي لي سوى الأعذار. هناك أمر آخر يا ماديسون، أمر خفي لا أعرفه. أنت تحبين مركز السلطة الذي تشغلينه فجعلت الواقعية الميزان الذي تزنين به الأمور. لماذا؟ لا بد أنك اخترت هذا الطريق بالذات لسبب أو سببين.. إما لأنك تعرّضت شخصياً لتجربة بغيضة، وإما لأن أحد أفراد أسرتك تعرض لها».

أنذره رد فعلها بأنه مس وتراً حساساً، لكنه سألها: «ما هو؟».

كان التغير في ماديسون مذهلاً، إذ تلاشى أيّ تعبير عن ملامحها، وفقدت عيناها بريقهما، فأصبحتا شاردتين فاترتين، فيما ظهر عليها هدوء غير طبيعي. وقالت كاذبة: «لا أدري ما الذي تتحدث عنه».

مال نحوها يسمّرها بنظراته وقال: «ما الذي سيحدث...».

ـ هل قاطعناكما؟

اختارت ساني هذه اللحظة بالذات لتفاجئهما، فطبعت قبلة خفيفة على خد حفيدتها وأخرى على خد هاري قبل أن تتابع كلامها: «آسفة لتأخرنا، ولكنني واثقة من أنكما ستقبلان عذري عندما أشرحه».

فسارعت ماديسون تطمئنها: «أنت لم تقاطعينا».

فقال هاري يصحح كلامها: «بل قاطعانا بكل تأكيد».

ورمقها بنظرة تحذير، لقد أجّلا نقاشهما إلى وقت آخر.. لكنهما سينهيانه، وقريباً جداً. وتابع يقول: «لكن أظن أننا سنسامحهما عندما نسمع أخبارهما، ماذا هناك، يا أبي؟».

فقال الأب بابتسامة عريضة: «هنئني يا هاري. وافقت ساني على الزواج بي».

***

ـ انتبهوا جميعاً.

دعت ساني أسرتها إلى الانضباط، فتلاشت الجلبة التي تحدثها أسرة سانفلاور. ونظرت إلى ورقة بين يديها ثم أومأت قائلة: «لا بأس، يا أعزائي، إليكم آخر تطورات مشروع الزواج. سيسركم أن تعلموا أنّ خطتنا وضعت موضع التنفيذ».

فسألتها الخالة ديل: «وماذا كان رد فعلها بالنسبة إلى خطوبتك؟ هل هي مسرورة مثلنا جميعاً؟».

ـ أظن أنّ كلمة «مسرورة» فيها بعض المبالغة. ولكن لا تقلقي، ستعود إلينا في الوقت المناسب. والآن، لقد فكرت في الأمر كثيراً، وتوصّلت إلى طريقة رائعة لتنفيذ خطتنا.

فقال دانيال: «يسرّني المساعدة ما دام هذا لا يتعارض مع القانون. تقول ماديسون إنّ محامينا مستاء مني وإنه من الأفضل ألاّ أترجل لمساعدة أحد. كانت حازمة جداً بالنسبة إلى هذا الموضوع».

ـ لا تقلق يا دانيال، أنا واثقة من أننا لن نخالف القوانين.

فقال هارلي مقطباً: «ما الذي تريدين أن نفعله؟ لن يكلف ذلك الكثير من المال، أليس كذلك؟».

ـ لا، يا بُني، خطتي تحتاج وقتاً وإبداعاً.

ولوّحت بورقة في الهواء ثم أضافت: «هذه ورقة على كل منكم أن يوقّعها. وعلى كل شخص أن يختار مبدأ من (مبادىء الحب) يظنه مناسباً له. مهمتكم هي أن تثبتوا صحته لماديسون وهاري وتظهروا محاسنه لهما، وتشركوهما في الاختيار. سأبدأ أنا أولاً لكي تكوّنوا فكرة».

فسألتها روزي: «أي مبدأ ستختارين؟».

ـ أنا واثقة من أن هاري اهتم بالمبادىء الثلاثة الأولى. لهذا سأكون كريمة، لن أدعم تلك المبادىء وحسب، بل سأضيف المبدأ الرابع.

***

ـ لدينا مشكلة خطيرة.

أعلنت ماديسون ذلك، فتأوه هاري: «أولاً صباح الخير».

ـ صباح الخير يا هاري.

فتح هاري باب غرفته في الفندق، يدعوها: «ألن تدخلي؟».

اجتازت العتبة ثم استدارت تواجهه وقد قطبت جبينها لرؤيته يرتدي بذلة عمل: «شكراً. آه، لا، هذا غير مناسب».

ـ ماذا حدث؟

ـ هل تعمل اليوم؟ هل لديك موعد مع تلك المجموعة التي سبق أن أخبرتني عنها؟

ـ نعم، وكنت أتحضّر لإجراء اتصال تمهيدي. لكن يمكن لهذا أن ينتظر إذا كان لديك أمر أكثر أهمية.

فأشرق وجهها وقالت: «هذا رائع، أول ما علينا عمله هو أن نخلع عنك هذه».

ودارت حوله وخلعت عنه سترته وألقتها على كتفها، ثم تابعت: «وكذلك ربطة العنق».

فشبك ذراعيه على صدره وقال لها: «أخبريني أولاً عما يحدث».

ـ أنت تضيّع الوقت، وهو شيء لا نملكه.

وأخذت تفك ربطة عنقه قائلة: «سنخرج في نزهة».

ـ نزهة؟ نزهة وليس لدينا وقت؟

ـ اللوم يقع على ساني لأنها لم تنذرني باكراً. أتعلم؟ لو صدر هذا التصرف عن شخص آخر، لظننت أنه أمر متعمّد، لأن هذه النزهة الصغيرة تثير الشكوك.

ـ هل تعنين أن ساني مراوغة؟

فحملقت فيه بغضب وأجابت: «لا، على الإطلاق!».

ـ إذن يمكننا أن نقول وبكل اطمئنان، إن هذه النزهة من وحي الساعة.

أخذت ماديسون تقاوم شكوكها الباقية: «طبعاً، ولا أظن أن أباك يتضايق من نزوات ساني، أليس كذلك؟».

ـ آسف لتحطيم آمالك، لا أبداً.

www.elromancia.com

وأمسك بيديها اللتين تفكان أزرار قميصه، ثم ضغطهما على صدره بحزم وهو يسألها: «هل انتهيت من خلع ثيابي عني؟».

ارتفعت دقات قلبها، وقد أدركت فجأة كيف يمكن أن يُفسَّر حركاتها.. أو يسيء تفسيرها.

انتزعت يديها من يديه وتراجعت إلى الخلف بسرعة وهي تقول بتلعثم: «نعم، لقد انتهيت، ماذا تنتظر؟ اذهب وغير ملابسك».

ـ بعد قليل، عليك أولاً أن تختاري، يا حبيبتي.

ـ أختار؟ وماذا أختار؟

ـ يمكننا أن نخرج في نزهة، أو نتابع ما بدأناه، ما هو خيارك؟ البقاء بين الجدران، أم الخروج؟

بللت شفتيها، ثم تملكها الرعب وهي تكتشف أنها أمضت لحظة توازن فيها بين الخيارين.

وهمست أخيراً: «الخروج».

فسألها: «هل أنت واثقة؟».

ـ نعم.

ـ في هذه الحالة، انتظري هنا.

لم يكن هذا ما يريدانه، لكنها استجمعت شجاعتها لكي تقاوم أحاسيسها ومشاعرها التي حثتها على البقاء معه في جناحه.. وأدركت فجأة أن هذا جناحه.. وجناح خيالي الجمال. في ناحية منه مطبخ صغير متصل بغرفة طعام رسمية صغيرة، وإلى يسارها غرفة تستعمل كمكتب، بالإضافة إلى غرفة فسيحة للجلوس تطل على منظر خلاب لمدينة سياتل. ذكرها هذا بسهرتهما في مطعم ميلانو. كان هاري قد توارى من باب في آخر غرفة الجلوس يؤدي دون شك إلى غرفة نومه.

تحركت لتفحص المكان. وعندما تأخر في العودة، استسلمت لفضولها. كان المطبخ مجهزاً تماماً، وتملكها انطباع بأن المطبخ قد جُهّز بكل ما يفضله هاري. لقد أدركت منذ البداية أنه يعبد عمله. ورأت مائدة

الإفطار التي جهزت لشخصين، فحدّقت طويلاً في هذه الجلسة الحميمة. هل لهاري رفيقة سفر لا تعرف عنها شيئاً؟ أم أن المائدة مجهزة لاثنين تحسباً لاستضافته زائراً طارئاً؟ وجعلها هذا الخاطر تشعر بعدم الراحة.

هربت من المطبخ إلى غرفة الطعام. فرأت خزانة تحتوي على كؤوس بلورية فاخرة وأطباق من الخزف الصيني. كما لاحظت أزهاراً منسقة على المائدة والمناضد الأخرى في غرفة الطعام. وذكرتها الألوان بهاري.

نظرت باتجاه المكتب، وقاومت رغبة تحثها على مزيد من الاستكشاف. ولاحظت على المكتب جهاز كومبيوتر، ومجموعة منوعة من الملفات والأوراق. وشكّت في أن يرضى هاري عن غزوها لمكتبه وعمله، فبعض الأماكن مقدّس وهي تحترم ذلك. تقدمت نحو الواجهة الزجاجية وأخذت تتأمل حركة السفن والقوارب في المرفأ.

سألها هاري وهو يقف في الباب المؤدي إلى غرفة نومه: «هل تريدين فنجاناً من القهوة؟».

استدارت ماديسون تواجهه دون أن تجد كلمة واحدة تقولها. لم تره حتى الساعة إلاّ في ثياب رسمية تسبغ على مظهره الرهبة. أما الآن وقد ارتدى بنطلوناً من الجينز وقميصاً قطنياً بسيطاً فبدا أكثر رهبة وخطراً من ذي قبل. ولعل البذلات تذكرها بدنيا الأعمال، تلك الدنيا التي تعمل فيها بكل ارتياح. لكنه، وبسببها، طرح عنه ملابس الخداع تلك التي كانت تشعرها بالألفة والراحة وكشف عن طبيعته الحقيقية. كان أسداً، وهذه حقيقة سمحت لنفسها بأن تنساها. حسناً، لقد أنطلق الوحش حراً الآن وأخذ يطوف في الأنحاء، وعليها ألاّ تلوم سوى نفسها. وراح يراقبها بعينين مفترستين ثم سألها: «ماديسون؟ قرأت على ملامحك كلمة (نعم) للقهوة! أم تراها (نعم بحق الجحيم)؟».

يجب أن يتوقف هذا! لا يمكنها أن تكشف عن أحاسيسها نحو هاري.

ـ آسفة، لأن لا وقت لدينا.

ووضعت في صوتها لهجة أصحاب الأعمال، فجاءت كلماتها

مقتضية، دقيقة، لا أثر فيها للقلق والخوف اللذين يتملكانها. وأضافت: «لدينا الكثير لنقوم به في ساعات قليلة».

ـ هذه «سيانل».

ولم يسمح لها بالجدال بل جرها من يدها من غرفة الطعام قائلاً: «أنت، من بين كل الناس، يجب أن تعلمي أن هناك دوماً وقت لفنجان قهوة».

وعندما أصبحت في المطبخ سحب لها كرسياً أجلسها عليه بسهولة وكأنه يؤدي دوراً، فجلست وهي تعبّر عما كان يقلقها منذ وصولها.

ـ ظننتك هنا لتعمل مع مؤسسة صغيرة على مسائل مالية؟

لم يرفع بصره وهو يجهز القهوة. ترى هل خدعتها مخيلتها، أم أنه تردد فعلاً قبل أن يجيب: «هذا صحيح».

ـ قلت إنها مؤسسة صغيرة، لا قوة لها.

ـ نعم، هذا صحيح.

لم تخطىء إذن. إنه، ولسبب ما، لا يريد التحدّث في هذا الموضوع، وعادت تسأله: «كيف استطاعوا إذن أن يحجزوا لك مثل هذا الجناح الفخم إذا كانت المجموعة صغيرة ومحدودة المدخول؟».

ـ ليسوا مسؤولين عن نفقاتي. أما بالنسبة إلى الجناح، فقد تكفل الفندق بإقامتي.

ـ ولماذا يفعل الفندق ذلك؟

فهز كتفيه، وأجاب: «لقد قدّمت لهم خدمة في الماضي».

ـ وهم معترفون بجميلك بحيث يدعونك لتقيم في أفضل جناح لديهم؟

ـ نعم.

وأنذرتها لهجته بأن الحديث انتهى، فاضطربت وقد أدركت أن أمراً هاماً فاتها. سكب القهوة وملأ طبقاً واحداً بفاكهة طازجة وفطيرة. يبدو أنه يريد أن يشاركها فيه، إذ وضعه بين فنجانيهما.

كان المكان ضيقاً، وازداد ضيقاً عندما جلس هاري، أو لعله بدا كذلك لأنه احتل جزءاً كبيراً من المكان. تناول الفطيرة وقسمها نصفين، فأغمضت عينيها، مقاومة رد فعل غريب لم تستطع تفسيره.

إنها الساعة التاسعة صباحاً، لكنها شعرت وكأنها ساعة متأخرة من ليل، ومضت لحظات قبل أن تتمكن من الإمساك بفنجانها خوفاً من أن تكشف اضطراب مشاعرها.

جرعة طويلة أرسلت الكافيين في أوردتها. ربما أخطأت حين شربت القهوة، فالكافيين يزيد الأمر سوءاً، ويجعل التوتر أكثر وضوحاً. ولم ينفعها تناول ثمرة فريز، ولا نصف الفطيرة التي تركها هاري في الطبق، بل زادت الأمور سوءاً، فكل قضمة ذكرتها بيديه وهما تقطعان الخبز. ربما لتوتر أعصابها علاقة بومضة المراقبة في عينيه العسليتين، إذ بدا وكأنه يعرف بالضبط ما تشعر به، يعرف ذلك ويتسلى به.

ـ كفّ عن ذلك.

فرفع حاجبه وسألها: «أكفّ عن ماذا؟».

ـ لا أدري أيّ مبدأ من مبادىء الحب تجرّبه عليّ، ولكن دع عنك ذلك. أنا لا أريد هذا النوع من الألاعيب.

ـ أنا لا أمارس الألاعيب.

فدفعت الطبق نحوه بعنف قائلة: «أنت تحاول أن تغريني، لا تزعج نفسك بإنكار ذلك، فأنا أرى ذلك بوضوح. أنت ترسل ذبذبات حب حارة، ولا أدري إذا كانت حيلة علّمك إياها أبوك، أم أنّ هذه طبيعتك. ولكن توقّف عن ذلك، فهذا الأمر لا يهمني».

التقط ثمرة فريز وضعها في فمه وهو يقول: «ذبذبات حب».

ـ لا تدّعي البراءة، فأنت لا تحسنها.

وأخذت تشير بيديها إلى كل التفاصيل، من عينيه، إلى فمه، إلى أصابعه الملوثة بعصير الفريز، ثم أضافت: «توقف عن ذلك لكي نتمكن من التحدث في العمل».

فنظر إليها باهتمام وسألها: «ما الذي تقترحين عليّ فعله؟».

ـ أليس هناك طريقة لذلك؟

ـ لم أعثر عليها بعد.

ـ افترض، إذن، أننا في اجتماع عمل، واستعمل الطريقة نفسها الآن. ألا تستطيع ذلك؟

ـ سيكون الأمر غير لائق، فأنا لا أرتدي بذلة.

ـ لقد لاحظت ذلك، ولعل هذا جزء من المشكلة. هيا يا هاري، هذا مهم بالنسبة إلي.

وهكذا انتقل من دوره كملك للإغراء إلى رجل أعمال. وابتسمت ابتسامة سريعة ثم قالت: «لدينا مشكلة. أنا واثقة من أنك لا تريد أن يتورط أبوك بعلاقة نهايتها تعسة، كما لا أريد أنا ذلك لجدتي».

ـ هذا غير صحيح.

حدقت فيه غير مصدقة: «ألا يهمك إذا تزوجا وعاشا تعسين؟».

ـ لا، أعني أنّ تلك ليست مشكلتي، أو مشكلتك. إذا ما فشل زواجهما، فعليهما أن يواجها النتائج. وأكرر، هذا ليس من شأننا.

ـ إذن، أنت لا تريد أن تقدم المساعدة؟

ـ ماذا تعنين بالمساعدة؟ لا أظنك ستتدخلين في أمورهما، يا ماديسون، فأنا لن أسمح لك بذلك.

شبكت ذراعيها على صدرها وحملقت فيه قائلة: «لعله أبوك يا هاري، لكنه خبير في الحب. ألا يفهم معنى هذا؟».

وتابعت تقول: «لن تستطيع ساني مواجهته. والآن بعد أن اختبرت شخصياً نوع الأساليب التي قد يستعملها، وذلك بفضلك، أصبحت أكثر قلقاً على جدتي».

ـ أنا لا أستعمل أيّ أساليب، وأبي ليس خبيراً في الحب. إنما هو، وبكل بساطة، سمسار يسعى لبيع كتاب عن الحب. ليتك فقط تقرئين ذلك الكتاب اللعين...

ـ وماذا لو كان يستعمل ساني كعقل تجاري؟

وابتسمت ماديسون بانتصار للذهول الذي بدا على وجه هاري ثم أضافت: «لم يخطر هذا على بالك، أليس كذلك؟ أن يستخدم ساني للاختبار».

ـ لن يتزوج (أنبوب اختبار).

ـ قد يفعل ذلك إذا ما نوى تأليف كتاب، يشكّل ظاهرة أخرى.

ـ إنك تتصرفين بسخافة.

ودفع كرسيه إلى الخلف، ولسبب ما، توقفت عن التنفس بيسر. لعله الغضب الذي حوّل لون عينيه من لون العسل إلى لون عاصفة رملية، وهو يقول: «أنت تتحدثين عن أبي ههنا. وبدأت أشعر بالانزعاج من هذه الافتراضات التي تضعينها، فهي افتراضات غير صحيحة».

ـ فهمت، أنت تشعر بضرورة حماية أبيك. حسناً، هذا شعوري أنا أيضاً نحو جدتي. لذلك، إليك ما أقترحه.

مرر أصابعه في شعره قائلاً: «أشعر أنّ ما ستقولينه لن يعجبني».

فردّت: «ربما لا، لكني أريد أن أراقب خطبتهما».

لم يعجبه قولها، وصمت لحظة قبل أن يجيب: «في هذه الحالة، لم يعد لي رأي».

فقالت تردد صدى كلماته: «لا أظن أن هذا سيعجبني».

ـ أبداً، لأنني سأراقب مراقبتك لهما.

ووضع إصبعه على فمها ليمنعها من التذمر قبل أن يتابع كلامه: «الأمر ليس للنقاش يا ماديسون. إما أن توافقي وإما أن أخبرهما بما ستفعلين».

فقالت تناقشه: «هذا ابتزاز».

أبقى إصبعه في مكانه لحظة قبل أن ينزله قائلاً: «المراقبة هي كلمة مهذبة تعني التجسس».

وانتظر لحظة لكي تستوعب كلامه ثم عاد يقول: «أقترح أن تطلعيني على أولى خطواتك، قبل أن أعود إلى رشدي وأضع حداً لهذا الهراء».

قاومت الشعور الماكر الذي خلفته لمسته. ودّت لو تطوّقه بذراعيها وتضمه إليها بشدة وكان هذا الإغراء أقوى مما تستطيع احتماله، فسارعت تقول: «النزهة، هل نسيت؟ طلبت من روزي أن تقتفي أثر الخطيبين السعيدين، وحالما تعرف وجهتهما، نلحق بهما».

فتنهد قائلاً: «لقد أوهمتني بأننا مدعوّان لمرافقتهما في هذه النزهة. لكننا غير مدعوين، أليس كذلك؟».

ـ ليس بالضبط.

ـ تعنين لا على الإطلاق.

لماذا ينظر إليها وكأنها أحد أمثلته الاقتصادية المخيبة للأمل؟ وشعرت كأنها معادلة رياضية مغلوطة تحتاج إلى تغيير كامل. لكن المشاعر لا تهمها أبداً، فمصلحة الأسرة على المحك هنا.

ـ أنت لا تفهم يا هاري. أنا مسؤولة عن جدتي.

ـ إنها في سنّ يسمح لها بأن تكون مسؤولة عن نفسها.

ـ لقد تعرّفت إلى أبيك منذ يومين فقط.

ـ إنهما يعرفان بعضهما البعض منذ عام.

ـ عبر البريد.. والهاتف.

ولوحت بيدها مستخفة بعلاقة كهذه وأردفت قائلة: «هذا لا يجعلهما يعرفان بعضهما بعضاً بحيث يتزوجان».

أخذ يتفحصها لدقائق مليئة بالتوتر قبل أن يسألها: «لماذا يهمك هذا الأمر إلى هذا الحد؟ ما الذي يحدث يا ماديسون؟».

ـ لقد سبق أن شرحت لك الأمر، إنني مسؤولة. فلطالما اهتممت أنا وساني ببعضنا البعض.

ـ ألا تظنين أنها قادرة على الاهتمام بنفسها؟

ـ إلى حد ما. ولكن عيب ساني الكبير هو أنّ مشاعرها تتحكم بها. لهذا نؤلف، أنا وهي، فريقاً متوازناً.

ـ أنت العقل وهي القلب.

لماذا تبدو السخرية في صوته؟ ورفعت رأسها متحدية: «نعم هذا تشبيه ممكن».

ـ أتعهد لك يا ماديسون بأن أبي لن يؤذيها. ولن أدعك تدمرين سعادة أبي فقط لأن لديك مشكلة ثقة بالناس.

نظرت إليه ببلادة مستفهمة: «مشكلة ثقة بالناس؟».

ـ هذا هو السبب الوحيد الذي أستنتجه. وإلاّ لكنت الآن تحتفلين بحظ ساني السعيد بدلاً من أن تحاولي وضع حدّ له.

ونهضت ماديسون قائلة: «ليس لدي فكرة عما تتحدث عنه».

ـ يا لها من مفاجأة!

ووقف بدوره، فبدا بالغ الطول بجانبها. واندفعت في الكلام لتمنعه من تقديم نظرياته التافهة.

ـ إليك الخطة.. سنظل بعيدين عن بعضنا البعض بشكل معقول، ولكنني أريد أن أتأكد من أن مبادىء الحب لن تعمي ساني.

ـ بإمكانك أن تختبري ما قد يجريه عليها.

وجاء الجزء الماكر من الخطة وهي تقول: «بمساعدتك».

فعادت التسلية تتألق في عينيه وهو يسألها: «إذن من المفترض أن أحذّرك إذا ما استعمل ما ورد في كتابه؟».

ـ بالضبط.

ـ دعيني أفهم الأمر جيداً، هل أعضاء أسرة سانفلاور الآخرون غير عمليين مثلك؟

ـ هذا مضحك جداً.

واستدارت لتخرج من المطبخ قائلة: «دعنا نخرج يا هاري، إذا كنا سنذهب في النزهة، فعلينا أن نستعد».

ـ هل أنت واثقة من أن بإمكانك أن تغيبي عن عملك هذه الفترة؟ أليس لديك أقرباء آخرون يحتاجون لرعايتك؟

ـ أحمل معي هاتفي النقال، وستتصل بي روزي إذا طرأت حالة

مستعجلة.

قال بفضول: «وهل يحدث هذا غالباً؟».

ـ يومياً.

وفتحت الباب الرئيسي وخرجت وهي تتابع قائلة: «يبدو أنك تدرك أن أسرة سانفلاور بحاجة إليّ».

ـ إنّ العكس صحيح يا حبيبتي. بدأت أظن أنك أنت من يحتاج إليهم.

***

٥ ـ ادرسْ من تحب..

المبدأ الخامس: ادرس من تحب من كافة النواحي.

فالحب الحقيقي لا يبهت ولا يذوي حتى في أسوأ الظروف

***

بدأ اليوم كأي يوم من أيام سياتل النادرة تلك، حيث الجبال الصخرية تناطح السماء الزرقاء، والبحيرة صافية حتى ليخيّل للرائي أنها لوح من زجاج. لكن هذا لا يعني أنها ستبقى على هذا الشكل طويلاً، كما أدرك هاري، فالسحب السوداء راحت تتجمع في الغرب، مندفعة نحوهم بسرعة غير عادية. وتصاعدت رائحة العشب المجزوز حديثاً لتداعب أنفيهما، فيما انتشرت الأزهار بوفرة وتألق، وحمتهما الأجمة من الأعين الفضولية. فبدا المكان فردوساً شاعرياً ذا روعة خالصة... رجل، امرأة، طعام، وبساط مريح... ثم المشهد...

وهز هاري رأسه. بدا هذا المشهد من أروع ما رأى، فقد كانت ماديسون راكعة بين الأعشاب، وأنفها مدسوس في أجمة غار، تتلصص من بين أوراقها الكثيفة على ساني وأبيه.

وكرجل طبيعي يتمتع بالصحة والقوة، أعجبه هذا المشهد المؤثر الرائع. لكنه، حالياً يفضل أن ينظر إلى عينيها السوداوين المتألقتين ووجنتيها المتوهجتين حماسة بدلاً من تنورة ثوبها الأحمر. في الأمس، وبعد انحباسهما في المصعد، وجدها سيدة أعمال بارعة وممتعة للغاية. وفي المطعم الليلة الماضية بدت شعلة من الذهب، أغرته على لمسها بشدة.

www.elromancia.com

لكن أن ترتدي هذا اللون الأحمر المتوهج، وتنتعل هذا «الصندل» ذا الأربطة، وتسدل شعرها على كتفيها، فأمر لا يقوى عليه لأنها بدت فاتنة للغاية. كانت النسائم تعبث بخصلاتها السوداء وتنزلها على وجهها، فتردها إلى الخلف، وهي تتمتم منزعجة.

حاول هاري تحويل انتباه ماديسون عن ساني وبارتلوميو، لكن نظراً لقدرتها الفائقة على التركيز لم يوفق بسهولة. لقد سبق له أن حوّل انتباه أكثر الرجال عدوانية في الولايات المتحدة، فكم من الجهد تكلفه امرأة ذات عزم وعناد؟ قال لها: «السلمون طازج».

ـ هذا ما كنت أتمناه.

ـ كذلك الخبز والجبنة محلية الصناعة.

ـ آه...

ولوّحت بيدها قائلة: «تباً... هؤلاء الأشخاص يسدّون علي الرؤية. ما الذي ينظرون إليه ويستحق كل هذه الضجة؟».

ـ المشهد؟ أعرف هذا فهو يستحوذ على انتباهي كله.

ماذا عليه أن يفعل؟ واستند إلى مرفقيه ثم تنهد قائلاً: «لديّ نصيحة لك عندما تذهبين في المرة القادمة في مهمة سريّة».

فردت: «لا تكن سخيفاً، فهذه ليست مهمة سريّة».

حاول أن يستعيد السيطرة على نفسه، قبل أن يجيب: «التلصص من بين الأجمات على أبرياء غافلين يسمى مهمة سرية. أنصحك بأن ترتدي ثوباً بلون ما يحيط بك، ليصبح من الصعب أن يلحظك أحد».

ـ هذه نصيحة جيدة وسأسجلها في دفتر الملاحظات.

ما أسخف هذا! لقد حان الوقت لوضع نهاية له.

ـ ماديسون، جدتك وأبي لن يذهبا إلى أي مكان. تعالي وكلي شيئاً وامنحيهما بعض الحميمية.

ـ اسكت، لقد ذهب هؤلاء الناس أخيراً.

وتنفست بحدة، قائلة: «هاري، إن أباك يفعل شيئاً لجدتي، تعال

وانظر».

ـ أتراه يخيفها؟

ـ لا.

واستدارت نحوه بسرعة سائلة: «ما الذي أعطاك هذه الفكرة؟».

ـ كانت فكرة عابرة فقط. ولا أدري لماذا خطرت ببالي.

ـ ولا أنا.

وتأملته باهتمام قبل أن تقول: «هل يحتمل أن يفعل ذلك؟ لا يوجد في تاريخ أسرتك عادة سوء المعاملة، أليس كذلك؟».

ـ حتى الساعة لم يحدث ذلك بعد.

ـ هذا حسن.

وراحت تحبو إلى أجمة أخرى، مبعدة أغصان الشجيرات، ثم عادت بانتباهها إلى الشخصين في ناحية المرج البعيدة.

ـ تعال وانظر إلى هذا، يا هاري، هل ما يستعمله من المبادىء؟

لم يكن يغضب بسهولة عادة، ولكن ماديسون تتمتع بموهبة إثارة أعصابه وأحاسيسه. تنفس بعمق وأخذ يكافح ليستفيد من النصائح الحكيمة التي اعتاد أن يقدّمها لأعضاء مجلس الإدارة. ولكن الغريب أنه لم يستطع أن يتذكر كلمة واحدة منها.

ـ يا عزيزتي، لو قرأت ذلك الكتاب اللعين، لعلمت أنه لا يتحدث عن كيفية عمل المبادىء. فهي ليست طرقاً بل مجرد قواعد منطقية لإنشاء علاقة حب قوية.

ـ نعم، لا بأس. لا يمكنك أن تخدعني يا هاري.

ـ أكرر قولي، لو قرأت الكتاب...

ـ لا أستطيع. لقد فقدته في المصعد.

ـ سأحضر لك نسخة أخرى.

ـ لا تزعج نفسك، لقد تصفحت بعض أقسامه بسرعة. عد إلى الفصل الثالث وقل لي مرة أخرى إنه لا يبحث في العلاقات الغرامية.. كل ذلك

www.elromancia.com

الكلام عن اللمس والرائحة والمظهر. لا عجب في أن تبدو ساني مرتبكة ومخدوعة بذلك الشكل.

ـ الفصل الأول عن النظر، الفصل الثاني عن السمع، الفصل الثالث عن اللمس الذوق والرائحة. ألا تظنين أن انجذاب الحواس كلها جزء هام من مبادىء الانجذاب الشاعري؟

شرعت بالإجابة، ثم ترددت. وتصلب ظهرها على الفور وهي تلتفت لتواجهه. كان عبوسها أشبه بتجمع السحب في السماء.

ـ لقد فكرت في أمر ما لتوّي.

لقد استرعى انتباهها أخيراً، رغم أنه قد يندم على نجاحه في ذلك.

ـ وما هو، يا حبيبتي؟

ـ الفصول الثلاثة الأولى.

ـ وماذا عنها؟

ـ أنت قرأتها، أليس كذلك؟

ـ أنا أعرف كل ما في الكتاب. ما الذي تريدين قوله.

ـ أنا أتحدث عما حصل في المصعد، هل كان ذلك متعمداً؟

وسمّرته بنظرة مليئة بغضب أنثوي.

ـ لم أفهم.

ـ دعني اذن أوضح كلامي.

ووضعت يديها على وركيها مضيفة: «جعلتني أختبر المبادىء الثلاثة الأولى، فهل كان ذلك عن قصد أم عن غير قصد؟».

عاد انتباهها إليه الآن، فهل سيتمكّن من الاحتفاظ به؟

ـ كلمة «جعلتني» كلمة سلبية.

ـ أنا جادة في كلامي، يا هاري.

وملأ الشك وعدم الثقة عينيها حاجباً أيّ شعور آخر. ولم يهتم هو بهذا التعبير، إذ اشتبه في أن رد فعلها نابع عن ظروف وأحداث من ماضيها. لقد حان وقت المكاشفة.

ـ لقد ناقشنا هذا الأمر بعد خروجنا من المصعد. أخبرتك أننا نجحنا في المبادىء الثلاثة الأولى.

ـ أنا أتحدث عن محاولة متعمدة منك لإغرائي مستعملاً ذلك الكتاب.

فأجاب بصدق تام: «لم يخطر ذلك في بالي قط».

ـ كيف استطعنا إذن أن ننجح في العديد من مبادىء أبيك الثمينة بمثل ذلك الوقت القصير.

كانا حتماً يعالجان مشكلة من ماضيها... مشكلة عدم الثقة. وهذا أمر لا يشير بالخير بالنسبة لأي حديث عن المستقبل... نظراً لما أخفاه عنها. رباه! كان عليه أن يختار الصدق منذ البداية، وكان بإمكانه ذلك لولا ساني ووالده.. دسّ أصابعه في شعره، لقد فات الأوان ليشرح لها الحقيقة الآن، ولكن، إذا ساعده الحظ، فسيصحح هذه الأخطاء عندما يأتي ذكرها. كما سيبذل جهده ليطمئنها بالنسبة إلى الساعات اللاتي أمضياها معاً في المصعد. وسيحاول جهده ليكشف حقيقة ماضيها ويساعدها على شفاء الجروح التي تجعلها بهذا الضعف.

ـ فكري في الأمر، يا ماديسون. يستحيل على شخصين أن يمكثا معاً ساعات من دون أن تتحرك إحدى الحواس على الأقل، وقد تحدثنا معاً.

ـ وتعانقنا.

فلم يستطع منع نفسه من الابتسام قبل أن يقول: «أتذكّر ذلك».

ـ هذا غير مضحك.

وجلست على البساط تواجهه، شابكة ذراعيها على صدرها. وانعكست أشعة الشمس على شعرها المسترسل على كتفيها فبدا كجدول من الذهب السائل.

ولولا الحذر والغضب اللذان يومضان في عينيها، لأخذها بين ذراعيه. وتابعت قائلة: «أخبرني إذا ما تعمدّت اختبار تلك المبادىء عليّ».

ـ أعترف بأن هناك نوعاً من التفاعل بيننا.

www.elromancia.com

ـ لقد أدركت ذلك.

ـ إذا كان الأمر يريحك، فاعلمي أنّ غرائزك الأنثوية كانت في أوج تفتحها، أيضاً.

وتوترت شفتاها لكلامه، محذرة إياه من أيّ حديث عن انوثتها المتفتحة، لكنه رفض أن يدع ذلك، سواء أعجبها ذلك أم لم يعجبها.

قال: «هل كان التفاعل بيننا في المصعد امراً متعمداً؟ غير معقول. هل اختبرت معك المبادىء؟ أبداً».

ـ وكيف أتأكد من ذلك؟

صبّت مزيداً من الوقود على طبعه فاشتعل غضبه فجأة، وقال: «إذا بدأت بتطبيق تلك المبادىء عليك، فلن يبقى في ذهنك أي شك بالنسبة لما أفعله».

سألته محملقة فيه: «ماذا تعني؟».

ـ يبدو لي أنك لن ترضي حتى تحصلي على عيّنة للمقارنة، ربما إذا أعطيتك دليلاً شخصياً ملموساً عن المبادىء كلها، فستدركين ما يمكن أن تتوقعه ساني.

ـ لا، أنا...

ولم يمنحها وقتاً لتضيف كلمة أخرى، إذ ثبتها على البطانية، ودسّ يديه في خصلات شعرها قائلاً:

ـ انظري إليّ يا ماديسون. ماذا ترين؟

ابتلعت ريقها وأجابت: «رجل بالغ التصميم، ولعله منزعج قليلاً».

ـ هذا خطأ. أنت ترين رجلاً جائعاً، وأنا أرى امرأة مناسبة جداً.

بعد أن همس بهذا العرض سألها: «وماذا تسمعين؟».

فارتجفت بين ذراعيه وردت: «أسمع اقتراحاً.. اقتراحاً ممتعاً للغاية».

ـ هذا صحيح، لكنه أكثر من مجرد اقتراح، إنه عهد أنوي الوفاء.

وأحنى رأسه يعانقها، فأثارت انتباهه حركه خفيفة من ناحية الأجمة.

كانت ساني تسترق النظر من بين الأغصان فلوّحت له بيدها مرحاً، ورأى قربها بارتلوميو ينظر إليه بابتسامة عريضة. صُدم هاري، وسألته ماديسون:

ـ هل من خطب؟

أشار بحدة إلى هذا الجمهور يطرده. ولحسن الحظ فهما الإشارة فابتعدا مهرولين نحو موقف السيارات، بينما أجابها:

ـ لا شيء يا حبيبتي، والآن، أين كنا؟

أجابت بشيء من السرعة: «كنت تفسر لي المبادىء».

لا بد أنها ظنت ذلك إذ عكس صوتها نبرة سخط.

تابعت تقول: «لكنك كنت تفسرها رغم إرادتي».

فكتم ابتسامة وقال: «آسف، يا حلوتي. ولكنك ستتلقين دروساً في المبادىء سواء شئت ذلك أم لا».

ـ إذن، أنت تعلم أنني أعترض على هذه التجربة.

نطقت بهذه الكذبة من دون أدنى خجل، وأضافت: «معترضة تماماً».

ـ سجلنا اعتراضك والآن، أين كنا؟

ـ لقد أنهينا لتوّنا فصلي النظر والسمع. وقد قدمت اقتراحاً غير لائق أبداً، لكن الذهول منعني من الكلام، والآن، ماذا بعد؟

وجاهد لينظم أفكاره. من كان ليتصوّر أنّ امرأة تسيطر على نفسها بهذه الطريقة وعملية لهذه الدرجة، يمكن أن تؤثر فيه بهذا الشكل؟

ـ أتعلمين أنّ صوتك ورائحتك ساعداني على تكوين انطباع عنك عندما كنا في المصعد؟

أغمضت عينيها وهي تتنفس بعمق وتبتسم بسرور ثم قالت: «وكذلك رائحتك. إنها تذكرني بعاصفة ماطرة نقية».

ولم تكن مخطئة. وغيّر وضعه لئلا تشعر بقطرات المطر الأولى التي أخذت تتساقط، وضغط يديها على صدره قائلا:

ـ النظر، والسمع، الرائحة... والآن اللمس، بمَ تحسين، يا ماديسون؟

www.elromancia.com

ـ أحس بقلبك.

ـ يخفق منسجماً مع قلبك.

وعانقها بنعومة ثم ضمها إليه أكثر، بشوق أشعل فيها ناراً متلهفة. وجاء صوتها كآهة بطيئة خفيفة.

ـ أنت...

ـ ألا تشعرين بأنّ هذا هو الصواب؟ والآن هل فهمت كيف يفترض أن تعمل المبادىء؟

فتحت عينيها ببطء كمن يستيقظ من حلم سار، وقطبت جبينها: «آه، نعم! أشعر... هاري؟ لماذا... لماذا شعرك رطب؟».

ـ هناك تفسير منطقي لذلك.

ـ آه، يا إلهي! إنها تمطر. هاري!

وأخذت تدفعه بكتفيه، لتبعده عنها، قائلة: «انهض لقد بلّلك المطر. لِمَ لم تخبرني؟

نهض رغماً عنه. كل هذا ليعطيها برهاناً غير مباشر عن مبادىء الحب. وأخذ يوضّب حاجياتهما في السلة بسرعة، وتزايد سقوط المطر ليصبح سيلاً منهمراً، فألقى بالبساط على رأس ماديسون. واختطف السلة بيده، ثم أمسكها بالأخرى وأخذا يركضان نحو السيارة. ولسوء الحظ، لم يكن «صندل» ماديسون مصنوعاً ليقاوم مطر «سياتل»، لهذا لم يركضا سوى مترين حتى أخذت تتعثر به. فما كان من هاري إلاّ أن ألقى السلة على الأرض، وأزاح البساط عن رأس ماديسون، وأخذها بين ذراعيه.

راح المطر يتساقط على رأسيهما، لكنه في تلك اللحظة لم يهتم مثقال ذرة، فقد حملها وأخذ يعانقها. كان في عناق هذه المرأة تحت المطر المنهمر شيء عنيف، فتقاربهما وحرارة أحاسيسهما تتناقض بحدة مع برودة الجو القارسة. تشبثت به، والماء يسيل من ثوبها المبتل على قميصه القطني. وضع يديه على ظهرها، غير قادر على مقاومة رغبته في ضمها إليه طويلاً. ومع كل عناق كانت ترتجف أكثر، لتلتصق به مجدداً بحثاً عن

دفئه وحنانه.

وفقد كل احساس بالزمان والمكان، فهو يريد هذه المرأة التي يضمها بين ذراعيه وسمع صوتاً خفيفاً بالقرب منه، فظن هاري في بادىء الأمر أنّ ماديسون غيّرت رأيها وأخذت تحتج. لكنه أدرك أن الصوت يتعالى من حقيبة يدها، فشتم بصوت منخفض، بينما تمتمت تعتذر: «إنه هاتفي الخليوي».

نزلت لتقف على قدميها، فقال: «صوته وكأن أحدهم يعذّبه».

تراجعت خطوة وهي تنفض ثوبها قائلة: «أظن أن المطر أتلفه».

ـ هذا مؤسف.

ـ لا حاجة بك للتهكم.

يبدو أنّ التعقّل عاد إليها منتقماً، والمطر أطفأ كل لَهب أو نار. وأدرك من التعبير الذي بدا على وجهها أنّ ما تبقّى ليس إلاّ كومة من الرماد المبتل. والتفتت إلى مكان نزهتهما قائلة: «لقد غادر الجميع».

أخذ يساعدها على اصلاح حال ثوبها كارهاً، لكن هذا لم ينفع كثيراً، فقد أتلف البلل الثوب، ومطه الماء إلى الأسفل. ودفعه الإغراء إلى مسح الماء عن وجهها المتورد من دون أن تحتج أو تشجعه على هذا التصرف. وتركها مرغماً مذكراً نفسه بأن لا فائدة من إكراهها. وقال لها:

ـ نعم، لقد غادر الجميع، يبدو أنّ المتنزهين الآخرين لا يحبّون العناق تحت المطر مثلنا.

فنظرت حولها مرتجفة وسألت: «ماذا عن ساني وبارتلوميو؟ أين هما؟».

فهز كتفيه مجيباً: «رحلا منذ وقت طويل على ما اعتقد، لا أظنهما سيتأخران مع هطول المطر».

وأحظاً في قوله هذا إذ بدا الحذر على وجهها وقالت: «آه، لا! هذا فظيع. أتظنهما شاهدانا؟».

ـ فظيع؟

حتى المطر البارد لم يفلح في تهدئة غضبه، وهو يضيف: «هل لديك مانع في أن تخبريني عن الفظيع في هذا؟».

فتجنبت نظراته وأجابت: «لو شاهدانا، لكّونا فكرة خاطئة».

ـ هذا مضحك، ظننت أنه قد يمنحهما الفكرة الصائبة.

ـ كنا نختبر بعض القواعد.

وابتعدت عنه خطوة أخرى، ثم قالت: «هذا كل ما في الأمر. ما من شيء شخصي».

ـ كرري هذا لنفسك، فقد تقتنعين بكلامك مع الوقت.

ـ لا تعتقد أنّ هناك أكثر من ذلك.

لم يعبأ بمجادلتها، وجلس القرفصاء يفك أربطة «صندلها» ويضعه جانباً. وفكّر في حملها بين ذراعيه إلى موقف السيارات، لكن نظرة منه إلى توتر شفتيها والحذر البادي في عينيها جعلته يغير رأيه، فاكتفى بإمساك يدها ومرافقتها إلى السيارة. لم يعد المطر يبدو بدائياً مغرياً، بل بارداً غير مريح. فتح السيارة وأمسك لها الباب لتصعد. كان ثوبها ملتصقاً بجسد لم تبرزه ملابس العمل يوماً على حقيقته، حتى أن ذلك الثوب الذهبي لم ينصفه تماماً. أما هذا الثوب القطني الأحمر المبتل فأظهر تناسق قامتها.

تبدّد غيظه، وذكّر نفسه بالصبر. فهو لا يتوقع أن يكسر خمسة وعشرين عاماً من الحواجز، في أيام معدودات.

ـ فلنأخذك إلى البيت لكي تغيري ملابسك.

ـ سأكون لك شاكرة.

وشبكت يديها على صدرها مضيفة: «أكاد أتجمد من البرد».

ـ سأدير جهاز التدفئة، وستشعرين بالدفء فوراً.

أثناء وضع حزام الأمان، أعطته عنوانها في ضاحية المدينة.. كان بيتها قائماً على جرف شديد الانحدار يطل على البحر، ويتألف من طابقين فيبدو وكأنه متوارث في العائلة نفسها منذ أجيال.

وترددت قبل أن تغادر السيارة.

ـ أتريد أن تدخل وتجفف ثيابك؟

ـ نعم.

وابتسم للمشاعر المتناقضة التي ارتسمت على وجهها، توقّع، حذر، توتر... واختلط التردد بشيء من المشاعر المحمومة التي أخذت تعود للظهور وأضاف: «لكنني لن أدخل».

فهمست: «لماذا؟».

ـ ما زال هناك الكثير من الأمور التي تقف عائقاً بيننا وعلينا أن نحلّها قبل أن تتطور علاقتنا.

ـ تعني الكتاب وساني وبارتلوميو.

ـ بل أكثر من ذلك.

فتوتر فكها وقالت: «إذا كنت تشير إلى عملي».

ـ هذا جزء منه، وهناك عملي أيضاً.

شعرت بتوجس اختلط بشعور بالذنب وسألته:

ـ سبق أن قلت إن هذه إجازة للعمل. لقد أبعدتك عن عملك، أليس كذلك؟

ـ نعم، وقبل أن أكمل هذه المهمة الأخيرة لن يكون من المناسب توطيد علاقتي بك.

فنظرت إليه بسرعة.

ـ توطيد العلاقة يبدو... متهوراً قليلاً... فنحن لم نعرف بعضنا البعض منذ وقت طويل.

فلوى فمه وقال: «أوافقك الرأي. لكن يبدو أن هذا لن يقف عائقاً بيننا. أليس كذلك؟».

رأى الإنكار يرتسم في عينيها المعبرّتين، ثم تنهدت باستسلام وهزت رأسها: «يبدو الأمر مشوشاً، أليس كذلك؟».

فضحك بشيء من السخرية: «بل أظنه واضحاً تماماً، إننا منجذبان إلى بعضنا البعض، ولا أفهم لماذا أنت مصممة على محاربة هذا الشعور»

ثم خطرت له فكرة مفاجئة فسألها: «هل تخافين الإلتزام؟».

لم تتجنب الرد كما ظنّ أنها ستفعل، بل قالت: «هذا جزء من المشكلة».

ها هما يصلان الآن إلى نقطة ما، سيحاول التقدم خطوة أخرى ليرى ما سيحدث.

ـ هل أنت خائفة من أن تلتزمي، أم من ألاّ ألتزم أنا؟

ـ من الأمرين معاً.

وبحثت عن حقيبة يدها، ثم مدت يدها إلى قبضة باب السيارة، مبتعدة عنه جسدياً كما ابتعدت شعورياً، وقالت: «عليّ أن أذهب».

مد يده ليمنعها، قائلاً: «ماديسون. . . .»

فالتفتت إليه ورمقته حذرة ثم قالت: «أخاف أن يجعلني ذلك ضعيفة. هل في هذا جواب على سؤالك؟».

ـ نعم، لكنه يثير أيضاً عدداً من الأسئلة الأخرى. لماذا تظنين أن الالتزام سيجعلك ضعيفة؟

ـ لأنني رأيت نتائج ارتباط أمي برجل.

وفتحت باب السيارة ونزلت مسرعة. كان شعرها قد بدأ يجفّ، ليحيط بوجهها كهالة من الحلقات السوداء. وما كان منه إلاّ أن دفع بابه بعنف ولحق بها، وابتل في لحظات لكنه لم يأبه لذلك.

ـ ما الذي حدث لأمك؟ لماذا سيجعلك الالتزام ضعيفة؟

استدارت نحوه ثم ركضت حافية القدمين إلى الباب الأمامي وعندما واجهته كانت قد صعدت درجتين فقط. كانت مبللة مثله، وبدا ثوبها الأحمر النقطة الزاهية الوحيدة في عالم رمادي موحش كئيب. وأسوأ ما في الأمر أنّ ملامحها أظهرت الضعف الذي تخافه كثيراً. وتمنى أن يحتضنها ويواسيها ويخفف عنها، لكنها ستدفعه عنها وسترفض ذلك دون شك. وعاد يقول: «ماديسون، أجيبي عن سؤالي. ما الذي حدث لأمك؟».

أحس بأن كبرياءها هو الذي أجبرها على التوقف على الدرجات وعلى رفض الاستسلام للدموع أو الهرب.

ـ كانت تحب أبي.

وشدّت ماديسون قبضتيها إلى جانبيها محاولة السيطرة على نفسها ثم تابعت تقول: «لقد كرست نفسها له. كل ذرة من كيانها».

ـ وانهار زواجهما؟

من غير المعقول أن يحدث ذلك بهذه البساطة.

ـ ما حدث أكثر من انهيار. أخذ يفككه شيئاً فشيئاً حتى لم يبق شيء من أمي.

وزاد من ضغطه عليها إذ أحس بأنه لن يحظى بفرصة أخرى تكشف فيها عن ماضيها.

ـ ماذا حدث، يا حبيبتي؟ من حطم الزواج؟

ـ أبي!

صرخت بذلك وقد أحدث غضبها فجوة في الحاجز الذي يحميها، وأضافت: «أبي المحاسب العملي المنطقي! تعهّد في عقد الزواج برعاية أمي، وبدلاً من ذلك حطمها. لا أريد أن يحدث ذلك لي لا أريد رجلاً عملياً منطقياً في حياتي، رجلاً يمكنه أن يفكك حياتي بمثل تلك الدقة المتعمدة».

ـ لن أفعل ذلك أبداً.

استمر المطر في الانهمار، وفصل بينهما ستار رقيق من المياه. بدت الطبيعة في أبهى مظاهرها، والمطر يهطل على رأسيهما وأكتافهما بشدة. ارتدت إلى الخلف صاعدة الدرجات نحو الباب، وصاحت بصوت يعلو على صوت المطر: «لن تؤذيني لأنني لن أسمح لك بذلك».

ـ حبيبتي. . .

ـ عليّ أنّ أذهب. أحد أقربائي اتصل بي عندما كنا في النزهة، هناك من يحتاجني.

وكاد يقول إنه من يحتاجها، لكنه عدل عن رأيه وقال: «حسناً، لا بأس، سأراك غداً في مكتبك، وعندئذٍ سنتابع حديثنا».

نجحت مغامرته إذ أومأت قائلة: «الساعة التاسعة، يا جونس، عند ذلك سننهي حديثنا».

لم يشأ أن يدعها تفلت.

- ما زلنا بعيدين عن إنهاء أي شيء. سنتابع حديثنا، ولن ننهيه.

فابتسمت ساخرة: «سنرى».

ثم اختفت داخل منزلها بينما وقف هاري على الدرجات يحدق في الباب المغلق، وهو يفكر: «لن تبقي صامتة طويلاً، يا حبيبتي، سأعالج الأمر شخصياً. وهذا عهد مني».

***

- إذن، أي مبدأ ستقنع به ماديسون؟ لا يمكنني أن أقرر. أريد مبدأ غير عادي لأنها استثنائية. لكنني لا أستطيع أن أتخذ قراراً. ماذا قررت أنت؟

ألقت الخالة «ديل» هذا السؤال على ابن أخيها هارلي فأجاب ضاحكاً.

- هذا سهل، سأسحب لك المبدأ من قبعتي.

- إنها طريقة عملية جداً. ربما علينا أن نقترح هذه الطريقة على ساني باسمنا جميعا، لاسيّما أن هناك مبادىء كثيرة لنختار منها.

- يمكنك أن تفعلي ذلك بعد أن اختار مبدئي.

ودسّ يده في قبعته الرياضية وأخرج منها قطعة ورق ثم قال: «كلما أسرعنا في دفع ماديسون إلى اختيار المبادىء، كلما تمكنت أنا من الحصول على السيارة الـ B M بسرعة».

فقطبت الخالة ديل حاجبيها وسألته: «أتعني B M W؟ لكنني ظننت أنك تريد سيارة «مرسيدس»؟».

- لقد غيّرت رأيي.

وفتح الورقة وقرأها.

- لا بأس، ليس الأمر صعباً.

فنظرت إلى الورقة من فوق كتفه وسألته: «أيّ مبدأ هذا».

- إنه يتعلق بالعمل معاً والتحدث.

وضحك، قبل أن يضيف: «لكن الحديث هو كل ما تفعله ماديسون. لهذا، كل ما عليّ أن أفعله هو أن أجعلهما يعملان معاً وأدعها تغرقه بثرثرتها، فتصبح تلك السيارة الرياضية الحمراء لي».

- ولكن... لست واثقة من أن هذا ما يعنيه ذاك المبدأ بالضبط.

فقال من دون أن يهتم بترددها: «استريحي. لقد تدبرت كل شيء. أنا واثق من أنّ خطتي ستنجح وستجعل ساني تحجز في الكنيسة لعقد القران. ولماذا؟».

وضع قبعته الرياضية على رأسه ضاحكاً ثم قال: «لأن هارلي سانفلاور، الخبير في الحب، هو المسؤول. هذا هو السبب».

تمتمت الخالة ديل: «نعم يا عزيزي، كما نرجو كلنا ألاّ يكون مبدؤك واحد، من أكثر المبادىء أهمية».

***

٦ ـ اعملا معاً

المبدأ السادس: كيف تعملان معاً كرفيقين...
التمويل، الأطفال، والأحاديث الأخرى الهامة.

* * *

ـ لا بأس، أنا هنا.

أعلنت ماديسون هذا ما إن فتح هاري باب جناحه في الفندق. حاولت أن تجعل لهجتها مباشرة وموضوعية، دون أي إشارة إلى ما خلفته مواجهتهما الأخيرة من اضطراب في مشاعرها. كما أنها، وبدافع التمرد، ارتدت بذلة عمل ذات لون أحمر متألق كثوب الأمس.

ـ ما هو ذلك الأمر العظيم المستعجل؟

تنهد هاري بشكل مبالغ فيه.

ـ وصباح الخير، لك أيضاً.

ـ آه! رباه، لقد فعلتها مرة أخرى، أليس كذلك؟

متى ستتعلم؟ ربما لو لم تكن تحاول التظاهر بأن ما جرى في الأمس لم يحدث قط لتذكرت أبسط قواعد التهذيب.

ـ صباح الخير، يا هاري. كيف حالك؟

ـ بخير. شكراً.

وفتح الباب على اتساعه كما فعل بالأمس وإن عكست نظرة عينيه هذه المرة معنى خفياً... وتفهماً للون الذي ارتدته وسبب ذلك.

ـ ألن تدخلي؟

دخلت وعلى فمها ابتسامة مهذبة، ثم استدارت تواجهه:

ـ والآن، ما هو ذلك.. آه، رباه!

كل أفكارها طارت واختفت حين نظرت إليه بإمعان للمرة الأولى. كان متكئاً على الباب، باسترخاء ورشاقة، دون أيّ أثر لتلك البذلة وربطة العنق الرسميتين اللتين كان يرتديهما في مناسبات سابقة. كما لم تجد أثراً لبنطلون الجينز والقميص القطني، أما شعر ذلك الاقتصادي النابغة الممشط بعناية فقد فقد هو أيضاً مظهره المرتب ولم يبقَ سوى ابتسامة خطيرة ومنشفة حول وسطه. شبك ذراعيه على صدره، لافتاً انتباهها إلى عضلات صدره وذراعيه القوية. كيف استطاع أن يحشو سترته بكل هذا؟ ويا له من قوام ممشوق وجسم مشدود لا يتخلله أيّ عيب، إذ بدا أشبه برياضي ترك ناديه للتو، أكثر منه اقتصادي ماهر.

غيّر هاري وضعه قبل أن يسألها:

ـ عندما تركزين اهتمامك على شيء ما، فأنت تمنحينه انتباهك الكامل، أليس كذلك؟

قالت بذهن شارد: «نعم، هذا صحيح، لديّ قدرة هائلة على التركيز».

ـ هذا ما لاحظته. هل لي أن أقترح نقل تركيزك هذا إلى مكان آخر حالياً؟ وإلا لن أكون مسؤولاً عن تصرفاتي لاحقاً.

فرفعت بصرها بعنف: «ماذا».

اقترب منها، محركاً كل تلك العضلات معاً بتنسيق تام. كانت مستعدة في هذه اللحظة إلى التخلي عن أيّ شيء في سبيل أن يمضي هاري الساعتين التاليتين في حركة متواصلة لتحلل حركة عضلاته وأعصابه المحيّرة. أرادت أن تدرس هذا التناغم العديم النظير.

في الواقع، عليها أن تُدخل بعض التغييرات على الصورة التي وضعتها للرجل المثالي. لقد نسيت أن تضيف إليها كل... وأخذت تتفحص هاري عن كثب... كل هذه الروعة وهذه العضلات الجميلة.

www.elromancia.com

رفع هاري ذقنها بإصبعه، مرغماً إياها على رفع بصرها إليه، ثم قال: «تحدثي بسرعة وإلا لن تتمكني من قول أي شيء لمدة طويلة».

ـ لن أتكلم؟

فلمع في عينيه الغضب مما جعل أنفاس ماديسون تضطرب بشكل غريب وتابعت: «وما الذي سيمنعني من الكلام؟».

ـ أنا...

وعادت بها الذكرى إلى عناقهما أمس الذي زاد المطر من حلاوته. عناقه ذو قدرة فريدة على حل العقد التي أمضت حياتها كلها في صنعها. ومنذ ذلك الحين، وكلما ظنت أنها حلّت عقدة ما، كلما تكوّنت عقدة جديدة لديها. وجعلها هذا تعي ضعف واقعها كامرأة بين ذراعي رجل لم تستطع مقاومته.

المشكلة الرئيسية في عناقهما هي نتيجته، وبعد أن غادر بيتها، أمضت ساعات وهي تحاول التفكير منطقياً في وضعها... ذلك المنطق الذي يبقيها بعيدة عن حياته، إذ عليها البقاء بعيدة عنه. فهي لن تضمن النتائج إذا ما سمحت له بخرق دفاعاتها. وقد اقترب كثيراً من الأمور التي لطالما حرستها بكل مثابرة. وسمحت له بإلقاء نظرة على جوانب حياتها التي تفضل أن تبقيها مدفونة، فهي لا تريد أن تكشف المزيد من نقاط ضعفها.

جاهدت كي يحمل صوتها نبرة عملية لكنها لم توفّق في ذلك.

ـ أنا لم أحضر إلى هنا لكي تعانقني.

وكان هذا خلافاً لما تريد، فأجاب: «ولكن هذا ما ستحصلين عليه... أخبريني لماذا أنت هنا، يا حبيبتي، وإلا سأنفذ وعدي».

حيّرتها كلماته فسألته: «ألا تعرف السبب؟».

ـ آه...

ومد يده إلى منشفته بحركة ذات معنى، فتراجعت إلى الخلف بسرعة قائلة: «انتظر لحظة، ربما عليك أن ترتدي بعض الملابس. وأظن أن هذا سيساعدنا على إكمال الحديث».

صمت للحظة، ثم هز كتفيه اللتين أسرتاها طوال الوقت، وقال:

ـ امنحيني دقائق قليلة لأستحم وأرتدي ملابسي، وبعد ذلك نتكلم.

ـ عن العمل.

فابتسم وقال: «من بين أمور أخرى».

أخذت تنظر إليه وهو يبتعد وعدم ارتياحها يزداد حدة. هذا ما كانت تخشاه، لم تشأ التحدث عن النزهة أو ما حدث بعدها. سيبدأ بطرح الأسئلة عن ماضيها، عن أمها وأبيها وتلك السنوات الفظيعة عندما تطلقا. وعند ذلك سيكتشف إلى أيّ مدى تنتمي إلى أسرة آدامز. هناك حقائق عنها تفضل دفنها في أعماقها، حقائق لم تطلع حتى أسرتها عليها. حقائق يهدد هاري باكتشافها.. صوت الماء المتدفق في الحمام استرعى انتباهها، وتمنت لو لم تسمعه. فمجرد التفكير في هاري يوتّر أعصابها، ويبعث القشعريرة في نفسها وأغمضت عينيها تحلم به. إنه رجل بحق، رجل تتمنى المرأة لو تمضي أيامها بين ذراعيه، تتمتع بحنانه ودفئه.

وضع هاري أصابعه أمام وجهها:

ـ استيقظي، أيتها الأميرة.

برزت هذه الصورة المداعبة أمامها كفقاعة صابون وأخذت تحدق في هاري الذي استحم وارتدى كامل ثيابه ووقف أمامها.

ـ ماذا؟ هل أنتهيت؟

أين مضى كل هذا الوقت؟ بإمكانها أن تقسم أنه لم يمضِ سوى دقيقة أو اثنين.

ـ نعم، لقد انتهيت. وها أنت عدت لذلك مرة أخرى.

لم تستطع استيعاب كلماته، فسألته: «عدت إلى ماذا».

ـ إلى النظر إليّ بشكل يجعلني أفكر في أمور مجنونة.

ـ أنا مدهوشة فقط لقدرتك على الاستحمام وحلاقة ذقنك وارتداء ملابسك في هذا الوقت القصير.

ـ لقد استغرق ذلك ثلث الساعة تقريباً. ألم تشعري بمرور كل هذا

الوقت؟

وتألقت عيناه باهتمام، فهزت كتفيها، ونطقت بأول عذر خطر لها: «اللوم يقع على العمل، كنت أفكر في ما إذا كان من الأفضل أن أبيع أسهماً لدي أو أشتري المزيد».

ـ هل تريدين نصيحتي؟

ـ هذا غير ضروري.

هذا رائع فقد تكلمت من دون أن تفضح أمرها ويشعر بأنها اختلقت هذه الكذبة. وتابعت تقول:

ـ إذا كنت مستعداً، فأقترح البدء بالحديث عن العمل.

ـ وما هو هذا العمل؟

قطبت جبينها وأجابت: «أنت طلبت مني العون».

وسمّرها بنظرة فضولية خالية من المشاعر، فتملكها الشك لحظة وقالت: «الامر يتعلق بالعمل الذي جئت إلى هنا للقيام به. اتصل بي هارلي وقال إنك تنتظرني في فندقك حالاً، أم... أم تراه اقترف غلطة؟».

ـ ما الذي أخبرك به هارلي بالضبط؟

ـ قال إنك تريد نصيحتي في مشروعك الحالي.

وأخفت شكوكها خلف ابتسامة متألقة وأضافت: «أظن أن أستخدامك مستشارة لتساعدك عمل حكيم يا هاري، ويسرّني أن أعاونك قدر استطاعتي».

ـ هذا كرم بالغ منك.

كان في صوته نبرة لم تستطع إدراك كنهها. لم تكن تهكماً، أم لعلها سخرية؟ وتنهدت قبل أن تقول: «دعني أخمّن. كان هارلي على خطأ. وقد تساءلت لما اتصل هو بي بدلاً من روزي».

ـ أقترح أن نتوّجه إلى مكتبك حيث يمكننا مناقشة الأمر في جلسة عمل.

كان هناك خطب ما. لماذا يذهبان إلى مكتبها لمناقشة عمله؟ وتملكها

التوتر، وعادت إلى الشكليات الرسمية التي جاءت بشكل طبيعي للغاية:

ـ هذا اقتراح ممتاز. هل أنت جاهز؟

ـ دعيني أحضر حقيبة أوراقي وسترتي.

ثم تردد قبل أن يسألها: «أم تفضلّين أن نتحدث عن أمس أولاً؟».

آه! رباه! رفعت رأسها وتقابلت أعينهما.

ـ لا أعتقد أنّ ما حدث بيننا أمس يستحق الحديث.

ـ غريب. أقسم أنّ هناك أموراً عدة علينا أن نوضحها.

ـ لا أتذكر أياً منها.

وبدا التمرد في صوتها، كاشفاً عن اضطرابها الداخلي، لكنها لم تهتم بل أضافت: «لا، ولا أمراً واحداً».

ـ آه، لا؟ لن أعبأ بذكر أكثرها وضوحاً، عناقنا تحت المطر...

فقاطعته بجفاء: «يا لك من رجل مهذب! إنني أقدّر لك تكتّمك».

بدا في عينيه لمعان خطر هو مزيج من العدائية.

ـ لكنني كنت أرجو أن تتحدثي معي على الأقل، عن والديك وما حدث لهما.

فشبكت ماديسون ذراعيها على صدرها، خائفة من إظهار رغبتها في الدفاع عن نفسها وقالت:

ـ لقد تطلقا، وانتهت القصة.

ـ لم تنتهِ القصة هنا وإلا لما تكدرت كلما أثير الموضوع.

فقررت المراوغة، وإن كانت تشك في أن ينفع هذا مع شخص مثل هاري.

ـ اسمح لي بإعادة صياغة كلامي. إنها نهاية القصة بالنسبة إليك.

ـ حالياً.

إنه يعرف كيف يثير أعصابها حقاً، فقالت: «لا، ليس حالياً فقط، فهذا ليس موضوعاً للنقاش يا هاري. لا أمس ولا اليوم، ولا في أيّ وقت آخر».

ـ وأظنّ أنّ هذا ينطبق أيضاً على الحديث عن مشاكلك مع الالتزام.

لقد تكلمت أكثر مما يلزم في الأمس، وأعطته الكثير من الحرية. وها هو ذا الآن يريد أن يستغل غلطتها، لكنها لن تسمح له بذلك. قد يكون مهتماً بإقامة علاقة معها لكنها ليست كذلك.

لكن ماذا لو استمتعت بصحبته في أثناء زيارته القصيرة إلى «سياتل» دون الخوف من الالتزام؟ علاقة سطحية من دون التزامات أو ارتباطات ومن دون أن يمسّ مشاعرها التي تفضل إخفاءها. ولا بد أنه أحس بترددها فسألها:

ـ ماديسون؟

كان في نبرة صوته وهو يلفظ اسمها إلحاح ودعوة كادا يرميانها بين ذراعيه. تململت وتمايلت إذ عليها أن تبتعد عنه على الفور. وتراجعت بسرعة إلى الوراء فعلق حذاؤها العالي الكعب بالسجادة. وما كان من هاري إلاّ أن سارع ليسندها، فاشتبكت نظراتهما فترة طويلة، لتقول أكثر مما تقوله الكلمات. قرأ في عينيها مخاوفها كلها فزاد تصميمه على معرفة كل ما تجاهد في سبيل إخفائه. وفي لحظة واحدة أدرك أن الطريق مسدود، فتركها سريعاً، ثم قال:

ـ دعيني أحضر أغراضي لنخرج.

وما إن ارتدى سترته وحمل حقيبة أوراقه، حتى أصبح رجلاً آخر، مما خلب لب ماديسون، ففي كل مرة يكونان فيها معاً، يكشف هاري عن ناحية من شخصيته. في المصعد كشف عن رقة ما كانت لتظنها ممكنة لو رأته من قبل، واستحال في ما بعد من حمل وديع إلى أسد فأحدث لديها صدمة غير سارة. ولكن ما إن عوّدت نفسها على مظهره هذا، حتى صمم على إغرائها وغوايتها، فوجدت أنّ هذه الناحية من شخصيته هي الأكثر خطورة.. تفرست في مظهره الحالي ثم ابتسمت، لا شك أن كل من يعرفه يظن أنّ هذه الناحية من شخصية هاري هي الأخطر... السيد جونس، الخبير المالي ورجل الأعمال البارع.

وعندما سارا في الردهة، تحلّق حولهما بعض الرجال الذين تملّكهم الانفعال والتوتر: منهم مدراء الفندق الذين أرادوا أن يتأكدوا من أن هاري راضٍ عن إقامته. هل جناحه واسع كفاية؟ وهل الخدمة جيدة؟ هل لديه أيّ شكوى؟ وكان هو يتعامل مع كل منهم بأدب وباقتضاب. ودنا منهما آخرون، فاستنتجت أنهم من زملاء العمل السابقين، ولاحظت بدهشة أن توترهم أشدّ من توتر مستخدمي الفندق. سمعوا أنه في المدينة، فهل يريد أيّ مساعدة؟ هل الإشاعة الجديدة عن شركة«XWZ» صحيحة؟ هل لديه أيّ نصيحة بالنسبة للاتجاهات الاقتصادية الأخيرة؟ أيمكنه إعطاؤهم فكرة عن مهمته الحالية؟ وعندما انتهت الأحاديث المختصرة، تكوّن لدى ماديسون انطباع بأن وجود هاري في «سياتل» أثار اهتماماً حقيقياً لدى بعض رجال الأعمال. كبتت ابتسامة تسلية، إذ يبدو أن أسلوبه الإرهابي ناجح للغاية. من المؤكد أنّ هؤلاء الرجال انخدعوا بادعائه فما أقل ما يعلمون!

آخر فتى كان ينتظر هاري، تبيّن أنه أحد موظفيه.

ـ كنت صاعداً لتوّي.

ونظر إلى ساعته مقطباً قبل أن يسأل:

ـ هل تأخرت؟

هز هاري رأسه وسارع يطمئنه.

ـ لا، أبداً يا «داين»، فقد تغيّرت خطتي، هل أحضرت المعلومات التي طلبتها؟

ـ ها هي، يا سيد جونس.

وناوله ملفاً قائلاً: «طلبت تحريات أوليّة. إذا أردت تقريراً أكثر شمولية فقل ذلك».

ـ بل هذا يكفي. وسأتصل بك إذا احتجت شيئاً آخر.

ـ نعم يا سيدي. أنت تعرف رقمي.

ـ شكراً، وأقدّر لك عملك هذا، يمكنك أن ترتاح بقية اليوم.

وبدا الذهول على «داين»، فسأله: «هل أنت واثق؟».

ـ تماماً.

ـ نعم يا سيدي. شكراً جزيلاً يا سيدي.

ما إن توارى داين، حتى نظر هاري إلى ابتسامة ماديسون العريضة وسألها: «ماذا يضحكك؟».

تأبطت ذراعه، شاعرة بالارتياح لعلاقتهما التي بدت راسخة.

ـ عليّ أن أعترف لك، يا سيد جونس. فقد خدعتهم جميعاً. أنت تملك هذه الرهبة حقاً.

سألها رافعاً حاجبه: «لكنني لا أخدعك، أليس كذلك».

فقالت ببشاشة: «لا، أبداً فأنا أعرف حيلك».

ـ وماذا لم تكن حيلاً؟ ماذا لو كان لدى هؤلاء الناس أسباب حقيقية للخوف مني؟

فضحكت: «إياك أن تجرب حيلك عليّ، فأنا أعرفك جيداً».

ـ وأنت لا تخشينني أبداً.

ـ أبداً.

ـ هذا غريب.

نظرت إليه بفضول وسألته: «وما الغريب في ذلك؟».

ـ أنت غير عادية، يا ماديسون؟

ـ آه، أرجوك! لا بد أنني لست أول من أدرك أن زئيرك أسوأ من عضك.

ـ كنت أظنه نباحاً.

ـ الكلب ينبح والأسد يزأر.

ـ إذن أنا أسد إنما لست أسداً مخيفاً.

فربتت على ذراعه بعطف وقالت:

ـ لا تدع هذا يكدرك، أنا واثقة من أنك ترهب أولئك الذين لا يملكون فطنتي في الحكم على الأشخاص.

وخطرت لها فكرة مفاجئة فسألته: «هل لهذا السبب تريد مني أن أساعدك في مهمتك الحالية؟ أن أكون مراقبة محايدة؟».

ـ ليس تماماً.

فقالت مداعبة: «لا بد أنك اخترتني إذن لأنني ذكية وجميلة جداً وخبيرة في الأمور المالية».

ـ كل كلمة قلتها صحيحة. ولكن هذا ليس هو السبب مع الأسف.

ـ ما هو إذن؟

ـ انتظري حتى نصل إلى مكتبك حيث أجيبك عن أسئلتك كلها.

كلامه جعلها تسكت فجأة، إذ خطر في بالها أنه سيشركها في عمله أكثر مما ظنت في البداية.

ولم يكن أمامها سوى وسيلة واحدة لتعلم ذلك، فسألته بصراحة: «إنّ الأمر يتعلق بي، أليس كذلك؟».

ـ فلنقل فقط إنني رجل يؤمن بمعرفة العناصر الأساسية كلها وأنت الآن أحد تلك العناصر.

تقبلت كلامه وهي تومىء برصانة ظاهرة.

ـ عليّ أن أتذكر هذا.

ـ قرار حكيم.

وأوقفها قبل أن تغادر الفندق.. أمسكها بذراعها يديرها نحوه قائلاً: «هنالك أمر آخر قد تودّين أن تتذكريه أيضاً».

شعر بشرودها وتغيّر حالها من الارتياح إلى التوتر، كما حدث في جناحه تماماً، لكنه لم يأبه لهذا التغيير. وسألته: «وما هو؟».

ـ يمكنك أن تثقي بأنني لن أؤذيك. يمكنك أن تثقي بأنني سأهتم بمصالحك من كل قلبي، وأنني سأحميك وأبقيك آمنة دوماً.

ابتسم وهو يضيف: «الزئير المخيف ينفع إذا ساندته أسنان حادة».

رقق الاضطراب ملامحها كاشفاً عن ضعف تمنى لو يخففه عنها بأي ثمن، وقالت: «لا أريد أن يحميني أحد».

www.elromancia.com

ـ ليس أمامك خيارات عدة.

لكنها رفضت أن تلين وأردفت: «أرى أن تبقى علاقتنا في حدود العمل».

ـ سأبذل جهدي لتغيّري رأيك.

قالت شاكية: «أتعلم، لقد بدأت أعتقد أننا غير متماثلين.. كنت أظنك رجلاً منطقياً».

ـ أنا كذلك فعلاً.

ـ أنت منطقي ما دمت أرى الأمور كما تراها أنت.

فأخفى ابتسامته وقال: «أرأيت؟ هذا منطق صحيح».

ألقت عليه نظرة سخرية ولم تجب بل اجتازت الردهة بتنورتها الحمراء وحذائها الملفت للإنظار، غافلة تماماً عن الأنظار التي تلفتها. وأخذ هاري يراقبها بإعجاب. هذه المرأة تحيّره على الدوام.

لم يستغرق وصولهما إلى مكتبها في طرف المدينة، وقتاً طويلاً. كان الفضول لرؤية المكان يملؤه، متسائلاً عن التجهيزات التي وفرتها أسرة سانفلاور لمستشارتها المالية.. كان المبنى عبارة عن بيت صغير يعود إلى بداية القرن، وهو قائم بين مجموعة من المباني العصرية المطلية باللون الأبيض، وبين بيوت سكنية قديمة. بقيت النوافذ الزجاجية المطلّة على الشارع والباب الخشبي المحفور على حالها، كما كانت في الماضي. وفي الداخل بدّلت صالة الجلوس لتُستعمل مكتباً للاستقبال، وجهزّت غرفة الطعام الرسمية بجانبها بأحدث المعدات الالكترونية. وفي وسطها رأى مكتباً ضخماً من الزجاج والمعدن، مظهراً تناقضاً واضحاً مع الأثاث التقليدي الذي يحيط به. وينطبق ذلك أيضاً على الفتاة المراهقة ذات الشعر الأرجواني الجالسة خلف المكتب.

نظرت إليه بعينين أثقلهما الماكياج، وقد بدا على ملامحها عدم الثقة. وقبل أن يتلفظ بكلمة واحدة، قالت: «لا تحكم على المظاهر».

فجازف متكهناً: «روزي؟».

ـ ومن يمكن أن يكون إذن؟

كان يتدلى من رقبتها سماعة فرفعتها إلى أذنيها مسّوية الميكروفون أمام فمها.

ـ روزي معك، ما هي مشكلتك؟

وقالت ماديسون: «يحتاج الناس لبعض الوقت لكي يتعوّدوا عليها».

ـ أتظنين ذلك؟

ـ إنها ماهرة جداً في التعامل مع الناس.

ـ أصدق ذلك.

ونظر حوله ثم أردف: «ربما علينا أن نتحدث في مكتبك».

ـ إنه في الخلف.

رفعت روزي نظرها عن الملحوظة التي كانت تخطّها وقالت: «ساني قادمة، تكلّمت عن مغامرة أمس. إنها كلمتها بالضبط، مغامرة».

وصُعقت ماديسون.

أخذت أظافر روزي المطلية باللون الأسود تقلّب أوراقها وأضافت: «اتصل هارلي أربع مرات، إنه يريدك أن تعلمي أن الحالة المستعجلة الآن هي سيارة «بي. أم دبليو».. كما تذمّر من أنه لم يستطع الاتصال بك في الساعات الأربع والعشرين الأخيرة».

ونظرت روزي إليها متسائلة: «ماذا فعلت؟ أقفلت هاتفك الخليوي؟».

ـ لا بل غرق.

ـ لا بد أنها كانت نزهة جهنمية.

تدخل هاري قائلاً: «هل هناك شيء آخر؟».

التفتت إليه، وحملقت فيه بعينيها الزرقاوين، وقالت: «هذا غريب. أقسم بأنني كنت أتحدث إلى ماديسون».

يا للطفلة الذكية!

ـ رئيستك ستذهب إلى مكتبها أما أنا وأنت فسنتحدث. بعد ذلك،

سأنضم إليها وأتركك تتلقين المخابرات كلها، والآن هل هناك ما تريدين أن تخبريها به؟

حاولت ماديسون أن تتدخل، لكن نظرة منها إلى ملامحه جعلتها تدور على عقبيها وتسرع الخطى في الممرّ. وكان في مشيتها ما أنذره بأنه سيسمع تأنيباً على غطرسته هذه.

هزت روزي رأسها بإعجاب، وقالت: «أنت رجل فظ. أشهد لك بذلك».

ـ كما أنّ لي عضلات تساعد فمي، فماذا عنك أنت؟

فردّت متهكمة: «يا إلهي! لا، كله كلام في كلام».

ارتسمت على وجهه ابتسامة سريعة، وقال: «أنت صادقة على الأقل».

وتلاشت ابتسامته قبل أن يضيف: «والآن اخبريني لماذا قال هارلي لماديسون إننا سنعمل معاً؟ وإذا لم يعجبني الجواب، فسأقطعه إرباً إرباً».

ضاقت عينا روزي وهي تقول له:

ـ ولماذا يكدرك ذلك؟ إنها الحقيقة، أليس كذلك؟

ـ إنه احتمال. لم أقرر بعد ما إذا كنت سأقبل العمل، لأنني هنا لأسباب أخرى. وتذكري أيضاً أنني إذا قررت قبول هذا العمل فأنا من سيشرح ذلك لماديسون.

هزت كتفيها وأجابت: «اذهب واشرحه لها. من يمنعك».

جاهد للسيطرة على نفسه. ما مشكلة أسرة سانفلاور هذه؟ لم يرَ من قبل أناساً مثل أفرادها.

ـ إذن، تلك كانت فكرتك في الحقيقة؟

فشخرت ساخرة وقالت: «لست غبية إلى هذا الحد. إنها فكرة هارلي النيّرة. أظنه وجدها في أحد مبادىء كتابكم. مبدأ يتحدث عن عملكما معاً وتبادلكما أحاديث هامةً. ألا تبدو لك هذه الفكرة مألوفة يا جونس؟».

صرف هاري بأسنانه وقال:

ـ أخبري هارلي أنني أريد أن أتحدث إليه. في الواقع، أخبري أفراد أسرتك كلهم أنني أريد أن أراهم، أما الآن فسأتبادل حديثاً هاماً مع ماديسون، فلا تدعي أحداً يقاطعنا. أفهمت؟

ـ أظن أنّ بإمكاني معالجة الأمر.

ـ افعلي هذا.

ترك هاري مكتب روزي، وسار في الاتجاه الذي سلكته ماديسون. كان في نهاية الممر بابان، أحدهما يؤدي إلى مكتب صغير، والآخر إلى ما كان يوماً ما غرفة جلوس وتحوّل إلى مكتب لماديسون. دخل الغرفة وأغلق الباب خلفه وهو ينظر حوله مسروراً.

باستثناء مكتب روزي، كان المنزل مؤثثاً بخشب السنديان العتيق وجدرانه مطلية باللون الأبيض، ولكن ثمة شيء آخر فههنا رائحة ماديسون المميزة منتشرة في المكتب. تعكس سحراً أنثوياً لامرأة تتمتع بمظهر سيدات الأعمال. الأريكة والكراسي منجدة بلون الشمس، فيما الأزهار في الزهريات تضفي حياة على الأثاث البسيط المصنوع من الخشب. كان الانطباع العام يوحي بترحيب عملي، فلم يستطع إلاّ أن يبتسم.

كانت ماديسون تجلس خلف مكتبها وهي تنظر إليه مبتسمة برزانة. لم يدهشه مظهرها، فهي امرأة ذكية، وعدم اكتشافها لجوانب معينة من شخصيته منذ مدة طويلة يعود إلى عدم ثقتها بالناس وشرودها منه لا إلى افتقارها للذكاء.

ـ يبدو أن أسرتك لا تفهم معنى الرهبة.

مالت برأسها وقالت: «لا بد أن هذا الأمر سبب لك إحباطاً بالغاً».

ـ لم يؤثر فيّ ذلك.

ـ ماذا كنت تريد من روزي؟

ـ سألتها لماذا طلب منك هارلي أن تأتي إلى غرفتي في الفندق لتتحدث عن مصالحنا المشتركة.

ـ مصالحنا المشتركة.

وصمتت لحظة بينما انتظر هو السؤال الذي لا بد منه.

لكن السؤال الأول الذي اختارت أن تطرحه فاجأه: «هل يهمك معرفة من أخبرني بهذا؟».

ـ نعم. لأن أسرتك تعلم أنني كنت سأفاتحك بالأمر في الوقت الذي يناسبني وبطريقتي الخاصة.

فأومأت وكأنه أثبت شكوكها، وقالت: «من باب الفضول... متى كنت تنوي أن تفعل ذلك؟ قبل أن تغريني أم بعده».

***

٧ ـ الثقة، الصدق، الاحترام

المبدأ السابع: الثقة، الصدق، والاحترام... أو...

ماذا تخبر الحبيب عن ماضيك!

***

ـ كان ذلك سيحدث بعد أن أغريك، وكان إغراؤك حقاً في قمة أولوياتي. أما مصالحي العملية فهي في آخر القائمة.

نهضت ماديسون واقفة وهي تقول:

ـ هذه ليست مزحة.

ـ أنا مسرور لموافقتك.

استدارت واتجهت إلى باب الشرفة خلف مكتبها الذي يؤدي إلى حديقة مسوّرة انعدمت فيها الأزهار.

ـ لما أنت هنا يا هاري؟ وهذه المرة أريد الحقيقة.

ـ ليس هذا ما تريدين معرفته.

وتقدم ليقف خلفها فتصلب جسمها، وتجمدت كتفاها توتراً.

ـ اطرحي سؤالك الحقيقي.

ـ الرجال في الفندق كانوا يتكهنون بمشروعك الحالي... من، ماذا، أين.

والتفتت إليه فاستطاع أن يرى مدى الأذى الذي أحدثه، وشتم بصوت منخفض.. كان عليه أن يلتزم بقاعدة عدم مزج العمل بالمشاعر..

ـ أنا هو مشروعك، أليس كذلك؟

www.elromancia.com

ـ نعم.

وكان هذا الجواب أكثر مما توقعت.

ـ وهذا يعني أنني المهمة التي كلفت بها «داين» وأنا أيضاً الخدمة التي طلبها منك بارتلوميو.

لاحظ رجفة خفيفة في ذقنها، لكنها عادت تتأمل الحديقة، وهي تقول: «تحدّثت عن تلك الخدمة عندما كنا في المصعد. لقد طلبوا منك أن تلقي نظرة على عملي، لترى إذا كنت أقوم بعملي بشكل وافٍ. أليس كذلك».

لم يكن حديثهما يسير كما خطط له، ونادراً ما انحرفت أموره العملية عن مسارها بهذا الشكل الذي يزعجه تماماً. وهز رأسه ساخطاً، فلا علاقة، لهذه العلاقة بأعماله. ولعل هذا ما يفسر معاندة القدر له.

ـ أخبرت أبي أنني سأفكر في التحري عن عملك، لكنني أردت أن أكوّن رأياً عنك وعن كيفية إدارتك للأمور قبل أن أقرر ما إذا كان الأمر يستحق أن أتدخل.

ـ لماذا؟

وارتجف صوتها، وتمنى لو يأخذها بين ذراعيه ويشرح لها الأمر. فهي بحاجة إلى التطمين، وعليه تقديم الاعتذار لأنه سمح بأن تخرج الأمور عن سيطرته إلى هذا الحد. وبدأ يمدّ يديه، لكن الجفاء الذي بدا على ملامحها منعه من ذلك، إذ أنذره بأنها لن تقبل محاولته التخفيف عنها. وسقطت ذراعاه على جنبيه فعليه أن يحلّ المشكلة الرئيسية أولاً. وقال:

ـ لقد ترددت في قبول هذه المهمة لأن لا علاقة لها بالأعمال.

فكرت ماديسون في قوله لحظة قبل أن تهز رأسها رفضاً.

ـ هراء.

كانت الخصلات العنيدة قد أفلتت من شعرها مظهرة تناقضاً بالغاً مع جمودها وتحفظها.. في الواقع، بدت اليوم كخليط من التناقضات إذ

ارتدت بذلة محكمة التفصيل، تناسب المكتب تماماً لولا لونها الأحمر الفاقع، وحذاؤها الأحمر العالي الكعب الذي يزين قدميها، فهو يناسب سهرة في المدينة أكثر مما يناسب العمل. وكان شعرها مشدوداً إلى الخلف، لكنه أظهر عنقها بالغة الرقة والضعف، ومع أن زينة وجهها خفيفة ورقيقة، إلا أنّ حمرة شفتيها التي تناسب بذلتها كانت مغرية. وعكس هذا كله موقف امرأة مترددة لم تقرر بعد ما إذا كانت ستركز اليوم على العمل أم على الذي سيستلم زمام هذا العمل. ومنحه هذا قبس أمل للمرة الأولى منذ وصوله إلى مكتبها.

ـ قلت إنك ترددت في قبول هذا العمل.

وبسطت يدها في حركة استغاثة غير واعية... كاشفة بذلك عن مشاعرها بوضوح تام.

ـ ماذا قررت؟ هل ستتحرى عنا أم لا؟

ـ هذا سؤال هام.

وأشارت إليه خصلات شعرها الجعدة، تتوسل إليه أن يلفها حول أصابعه، لكنه تجاهل هذا الإغراء وأضاف: «في الحقيقة، عليّ أن أزن خياراتي».

ـ وما هي تلك الخيارات.

فدنا منها وأخذ يمرّر بإصبعه على أصابعها، وأجاب: «أولاً، كيف يمكن للعمل أن يؤثر في علاقتنا».

جمدت للمسة إصبعه، وهمست: «لن يؤثر، فليس بيننا أيّ علاقة».

ـ كاذبة أنت.

ومسّ إصبعها الثانية قائلاً: «ثانياً، إذا ألقيت نظرة على عملك، هل ستستائين من تدخلي؟».

ارتجفت هذه المرة، وأجابت: «نعم، لأن ذلك غير ضروري».

لامس إصبعها الثالثة، وقال: «ثالثاً، وهذا ليس سؤالاً، إنما واقع. إذا لم ألقِ نظرة على عملك، فستستاءلين دوماً».

انتزعت ماديسون يدها من يده، ثم استدارت نحوه، وقد اتسعت عيناها عندما اكتشفت مدى دنوه من الحقيقة.

- عمَّ سأتساءل؟

- عمَ إذا كنت ستنجحين.

- إنها ليست لعبة، يا هاري. إنها حياتي.

وعكس صوتها عنفاً لفت نظره.

- نحن، الإثنين، متشابهان.

قال ذلك محذراً أكثر منه معلقاً، وأضاف: «لطالما ردّدت ذلك منذ تقابلنا للمرة الأولى. وأنا أعرف ما ستكون عليه ردة فعلك إذا أنا رحلت. ستتساءلين ما إذا كنت سأجد طريقة لتحسين وضع أسرتك المالي. ستبدئين بالتشكيك في قراراتك، وستتساءلين عما إذا كنت سأقوم بخيارات مختلفة عن خياراتك أنت، إلى أن تهلكك الشكوك».

أصرّت على القول: «هذا غير ممكن. أنا ماهرة في عملي، بل أكثر من مجرد ماهرة».

- إذن، ليس لديك ما يقلقك، أليس كذلك؟

أظلمت عيناها ألماً وردت: «آه، لا؟».

فتنهد طويلاً، يا إلهي إنها تعلم!

- ماديسون...

- ما كان بارتلوميو ليسألك التدخل لو لم يطلب منه ذلك فرد من الأسرة.

كان يرجو ألاّ تدرك تلك العلاقة. لكن، بعد ما أدركتها، قرر أن يتحدث إليها بصراحة.

- طلبت منه ساني ذلك.

صدمها جوابه رغم أنه أثبت شكوكها.

- أنا أسف يا حبيبتي، لم أشأ أن أخبرك بهذا الشكل.

- وكيف أردت أن تخبرني به؟

انطلق هذا السؤال من بين شفتين شاحبتين. في الواقع، بدت شاحبة كلياً مما تناقض مع سواد شعرها وعينيها.

- هل كنت ستعثر على طريقة لتجعل الأمر يبدو وكأنه فكرتي أنا؟ فتجعلني أطلب خدماتك، كمستشار مالي؟

- شيء من هذا القبيل. ولسوء الحظ، قرر هارلي التدخل.

وتغلب الغضب على الألم، فسألته:

- هل ظننت حقاً أنني لن ألاحظ الخداع؟ وأن الشك لن يساورني في بعض المسائل.

- الحقيقة ستظهر في النهاية، وكنت سأسعى لذلك. لكنني تمنيت أن أخفف من تأثيرها، ومن ضررها أيضاً.

وخضع للإغراء وأزاح خصلة شعر عن حاجبها قبل أن يضيف: «لكنني، بدلاً من ذلك، جعلتها أسوأ، وأنا آسف لذلك».

ابتعدت عن لمسته وقالت: «كان عليك أن تطلعني على هدفك منذ البداية».

- متى؟ في المصعد حيث كنت تعانين من عقدة الخوف من الأماكن المغلقة؟ هل كان عليّ أن أقول لك: «بالمناسبة، طلبت مني أسرتك أن أتحقق من عملك؟».

- نعم.

وانفلتت خصلات أخرى من شعرها، مظهرة اضطرابها الداخلي، وأحاطت بوجهها بفوضى معبرة بذلك عن سخطها.

- لو أخبرتني منذ ذلك الحين لعالجنا الوضع.

- لم أكن متأكداً من أنني سأقبل العمل. ولهذا لم أر فائدة أن أكشف عن الأمر طالما أنني لم أقرر ما سأفعل.

- لكنك قررت الآن.

ولم يكن هذا سؤالاً.

- نعم، وأنا آسف. لقد تعهدت بألاّ أجعلك تتألمين، لكني لم أسبب

www.elromancia.com

لك سوى الألم.

- كما تعهدت بأن ترعى مصلحتي من كل قلبك. ويبدو أنك فشلت في كافة المجالات.

- أنت مخطئة في ذلك، لا يمكنك أن تدركي ذلك الآن لأنك متكدرة للغاية. لكنني أعد بأن أجعل إشرافي على أعمال الأسرة يصفّي الجوّ بيننا. سأضع العمل جانباً، لنركّز على الأمور الشخصية.

فقاطعته رافعة يدها.

- ليس بيننا من أمور شخصية، لا سيّما بعد الآن. لقد خدعتني وهذا ما لا أقبله. لن أقبله أبداً، أريد أن أثق بالناس في حياتي، خصوصاً إذا تعلق الأمر بالعمل.

- لم تفهميني بعد. عملي معك لا علاقة له بالعمل.

نظرت إليه بفروغ صبر، لكنها لم تتراجع، وسألته: «ما الذي تتحدث عنه؟».

- آه! لا تدّعي عدم الفهم. يُفترض أنك تعرفين جدتك جيداً، فهي ليست غامضة إلى هذا الحد.

وعندما استمرت في النظر إليه ببلادة، قال: «ساني لا تريد مني أن أتحقق من أعمال الأسرة لأنها لا تثق بعملك، بل لأنها تخطط لزواج».

أطلقت ماديسون ضحكة صغيرة تحطم القلب، وقالت: «أنت مخطىء. إن شكّها بمقدرتي هو السبب».

- لا...

فقاطعته: «أنت لا تفهم الوضع يا هاري، فأنت لا تعرف كل شيء».

- أخبريني إذن ما لا أعرفه.

تنفست بعمق ونظرت في عينيه بحزم، ثم قالت: «أنا من أسرة آدامز، ابنة ويلسن آدامز. لهذا طلبوا التحقق من عملي. فهم يريدون التأكد من أنني لم أرث الفساد عن أبي، ولا أتصرف مثله».

جعلته ثقتها يجمد مكانه: «أوضحي».

فحوّلت عينيها بعيداً وقد أخفت مشاعرها خلف هدوء فاتر: «لا بأس، سأعالج الأمر بنفسي».

- لن أخرج من هنا يا ماديسون قبل أن تخبريني كل شيء.

- أتريد التفاصيل القذرة الحقيرة؟

فتمتم: «لماذا يتملكني شعور بأنّ عليّ أن أقول: لا، وأهرب؟».

بدا في نظراتها الهزل للمرة الأولى منذ وصلا إلى المكتب.

- أظن أنّ هذا ما أتمناه.

فكر في أن يفعل ما تريده، لكنه هز رأسه مدركاً أنه لا يستطيع.

- آسف، يا حبيبتي، لا يمكنني أن أترك هذا الأمر، حدثيني عن دور أبيك في كل هذا.

- لا بأس. بما أنّ ساني وأباك سيتزوجان، فستعرف القصة حتماً.

وفتحت باب الشرفة، قائلة: «فلنتحدث في الخارج».

تبعها، ثم توقف عند أول المرج المعشوشب، حيث غمر ضوء الصباح الفناء وكأنه يعدّ لهما ترحيباً دافئاً، وكانت أشجار الصنوبر تحيط بالفناء، والمقاعد الخشبية المستطيلة توفر استراحة مريحة.

هناك من بذل الكثير من الوقت والجهد لترتيب هذا المكان. واشتبه هاري في أنه يعرف ذلك الشخص، فالحديقة تشبه ماديسون. وقال:

- هذا حسن. هل هذا هو المكان الذي تلعبين فيه؟

أومأت، مؤكدة ظنونه:

- وجدت العمل في الحديقة مريحاً جداً للأعصاب، كان عليك أن تراها منذ سنوات.

ونظرت حولها راضية وأضافت: «إنه درس تعلمته. ومرحلة من التجربة والخطأ مررت بها».

هذا صحيح، فالحديقة لم يصممها شخص مختص. الأزهار تنمو في مجموعات غير منتظمة وقد اختلطت الأنواع المختلفة ببعضها البعض بشكل غير عملي. وكأنه المكان الوحيد في حياتها الذي يمكنها أن تتحرر

فيه من الضوابط كلها فتتصرف بعفوية وتلقائية.

بدا واضحاً لهاري أنّ يداً محبة أسبغت العناية على الحديقة فنظفتها من الآفات والأعشاب الضارة وروتها جيداً. وبعد دقائق، شعرت ماديسون بالاسترخاء في حديقتها وعاد إلى وجنتيها اللون الوردي الصحي.

تجولت على مهل في الأنحاء وتوجهت نحو السياج الذي يحدد ملكيتها وكانت تنحني من حين إلى آخر لتقتلع عشبة طفيلية أو تقطف زهرة ذاوية. وأخيراً قالت: «أظنني ذكرت لك أن أبي كان محاسباً».

ـ لقد أخبرتني أنك ورثت عنه طبيعتك العملية.

ـ نعم، لطالما كان أبي... عملياً.

وانحنت بجانب باقة من نبات النعناع فانغرز كعبا حذائها العاليان في العشب المندّى. وشعر هاري بأنها تعمّدت هذا لتتجنب نظراته، مما جذب انتباهه.

ـ كما أن أبي أحد أكثر الرجال الذين عرفتهم فساداً. كان لصاً وكان كاذباً.

تجهم وجه هاري، إذ لم يتوقع قولها هذا.

ـ أفهم من ذلك أن كلامك هذا ليس مجرد تخمين.

ـ لا. ففي السنوات التي عاشها مع أمي، جرّد أفراد أسرة سانفلاور من معظم ممتلكاتهم.

جلس هاري القرفصاء بجانب ماديسون وهو يفكر في كلامها، بينما أخذ ينزع حذاءها من قدميها وهو يمسك بمرفقها لئلا تفقد توازنها. وقطبت جبينها ساخطة وسألته: «ماذا تفعل؟».

ـ أفعل هذا لئلا تتلفي حذاءك.

ـ وماذا لو تلف الحذاء؟

أمسك الحذاء بين يديه ونظر إليها باسماً: «لعل قولي هذا جديد عليك، لكن اعلمي أنّ الرجال تفتنهم أحذية كهذه».

فسألته بجفاء: «أتريد أن تجربه؟».

اتسعت ابتسامته وأجاب: «لا يا حبيبتي، فليس بإمكاني أن أدخل فيه سوى إبهامي كما أنه يناسبك أكثر».

وعندما نظرت إليه، سارع يسألها: «هل ساني هي من أخبرك أن أباك سرق أموال أسرتها؟».

بدا عليها وكأنها تودّ أن تتحدث عن الحذاء أكثر من ذلك... أيّ موضوع آخر يجنبها الخوض في حديثهما السابق... لكنها أخيراً هزت رأسها.

ـ لا. ساني لم تقل شيئاً قط.

ـ من أخبرك إذن؟

وقفت وسارت حافية على العشب الندي، ثم قالت له: «أخبرني أبي».

ـ انتظري لحظة.

ولحق بها ثم أدارها نحوه. بدت من دون حذائها العالي الكعبين، صغيرة وضعيفة وعديمة الحيلة إلى حد بعيد. كما أنّ الكآبة التي ارتسمت في عينيها جعلته يتمنى أن يأخذها بين ذراعيه ويحدثها عن أيّ أمر آخر لكن غريزته نبهته إلى ضرورة إنهاء هذا الموضوع وكسر الحواجز القائمة بينهما.

ـ دعيني أفهم الأمر بالضبط. هل اعترف أبوك بنفسه أنه سرق أموال أمك؟

ولأول مرة منذ تعرف إليها، رفضت مواجهة نظراته، وأخذت تحدق في نقطة ما خلفه.

ـ لم يكن صريحاً فقط بل كان فخوراً بذلك أيضاً.

ـ لا أفهم، ما الذي جعله يعترف لك؟

ـ اعتراف؟

وضحكت ضحكة هادئة حملت كل الألم والعذاب اللذين تكبتهما.

ـ لم يكن ذلك اعترافاً، بل تباهياً منه. أراد مني أن أعجب بمهارته.

www.elromancia.com

- ابن ال. . . ذاك.

ولم يكمل جملته. . . قد يكون ويلسن ادامز نذلاً لكنه لا يزال والد ماديسون.

- ما الذي فعلته أمك؟ لقد أخبرتها بما قاله. أليس كذلك؟

واكتشف على الفور أنه أخطأ بسؤاله هذا، إذ امتلأت عيناها بالدموع، وزال هدوؤها الذي جاهدت للحفاظ عليه.

- لا، لم أخبرها.

- لماذا يا ماديسون؟ لمَ لم تخبري أمك؟

- لم أستطع العثور عليها.

وسقطت من عينها أول دمعة، فلم يتردد بل أخذها بين ذراعيه وحملها إلى المقعد الخشبي القريب. وضمها إليه بصمت طويلاً، تاركاً إياها تبكي لذكرى أعنف صدمة في حياتها. وعندما رفعت رأسها أخيراً، أخذت تربّت على سترته بأصابع مرتجفة.

- لقد أتلفت سترتك.

- وهل تعتقدين أنّ الأمر يهمني؟

وتسللت يده إلى خصلات شعرها التي التفت حول أصابعه.

- أتريدين أن تخبريني ببقية القصة؟

- لم يبق الكثير لأقول.

- ماذا حدث لأمك؟

- طلقها أبي، وكوفيء على ذلك بالوصاية القانونية عليّ.

كانت قد استعادت شيئاً من هدوء أعصابها، لكن فيضاً من المشاعر تدفق أثناء نطقها بهاتين الجملتين البسيطتين.

- لهذا السبب لم أستطع العثور على أمي. فقد أبعدني عنها قدر إمكانه.

- حصل على الوصاية؟ كيف أمكنه ذلك؟

- سبق أن أخبرتك أن غالبية آل آدامز من المحاسبين والمحامين،

وبعضهم مدراء مصارف. إنهم ماهرون جداً في عملهم. . يعرفون كيف يستعملون القوانين لمصلحتهم. لكن أمي كانت سيئة الحظ، مما مكّن أبي من إقناع المحكمة من أنها وأسرتها من الحمقى والمجانين وأنهم يشكّلون خطراً على مستقبلي وسعادتي. ما زلت أجهل تفاصيل ما حدث، لكن أذكر أنني عندما دخلت إلى قاعة المحكمة وجدتها تصبح بأفراد أسرة سانفلاور. وعندما أخرجني أبي، أمضيت النهار كله في الصراخ والبكاء.

- كم كان عمرك حينذاك؟

- عشرة أعوام.

- وأين أبوك الآن؟

هزت كتفيها وأجابت: «عاد إلى الشرق، لم نعد على اتصال».

- وأمك؟

- رحلت بعد طلاقها إلى أوروبا، وهي تزور البلاد بين حين وآخر.

وهكذا فقدت ماديسون والديها معاً. . . فلا عجب في أنها تتحكم بعواطفها إلى هذا الحد. ولا بد أنها اكتسبت هذه القدرة منذ زمن طويل في محاولة منها للحفاظ على نفسها.

- متى عدت إلى سياتل؟

- يوم بلغت الثامنة عشرة من عمري. كنت أنوي ذلك حتى وأنا فتاة صغيرة. منذ أخذني أبي إلى الشرق، وأنا أحلم بالعودة إلى الوطن. وكانت الأمور كلما ساءت بالنسبة إلي، أتوسل إلى أبي كي يعيدني إلى الوطن.

وابتسمت بكآبة ثم أردفت قائلة: «لكن هذا لم ينفع قط، وبقيت أحاول على أيّ حال. وعندما بلغت أخيراً السن القانونية، لم أعد بحاجة إلى التوسل بل توجهت إلى الوطن ولم أهدأ حتى عثرت على ساني».

- ماذا حدث عندئذ؟

- التحقت بالجامعة وتعلمت كل ما استطعت تعلمه لإصلاح الخراب الذي سبّبه أبي، ومنذ تخرجي من الجامعة وأنا أحاول إصلاح أخطائه.

تجنّبت ماديسون ذراعي هاري، وانتزعت حذاءها من يديه ثم انتعلته،

www.elromancia.com

وعندما أصبحت أطول بعدة إنشات، تشجعت على مواجهته بشيء من تمردها القديم.

ـ قد لا تصدق ما أقول، لكنني ماهرة جداً في عملي. عندما جئت إلى هنا، كانت أسرة سانفلاور على وشك الإفلاس. وفي السنوات القليلة التي مضت أصلحت ما خرّبه أبي، حتى أنني عدت واشتريت منزل الأسرة.

ـ لا شك في ذلك، ولكن هناك أمراً لم يوضحه لك أحد على ما يبدو، وهو أنك غير مسؤولة عن أخطاء والدك، وليس عليك أن تستمري في دفع ثمنها.

ـ أنا لا أدفع الثمن، بل أحمي أسرتي. وهناك فرق كبير بين الأمرين وما دمت أتصرف بأموالهم، فإن أسرتي آمنة من أبي ومن كل من ينتهز الفرصة لخداعهم.

فأعادها إلى موضوع حديثهما الأساسي:

ـ وتظنين أنهم طلبوا مني الحضور للتحقق من عملك لأن أباك اختلس أموالهم؟ ليتأكدوا من أنك لا تسيرين على خطى أبيك؟

ـ وأي سبب آخر يمكن أن يدفعهم إلى ذلك؟

واغرورقت عيناها بالدموع من جديد، فأخذت تغالبها بجهد واضح، وأفلحت هذه المرة. وكان من المؤلم النظر إليها وهي تحاول السيطرة على مشاعرها بتصميم.

ـ أنا لا ألومهم، فهذا احتياط عاقل.

فقال بحذر: «نعم، هذا صحيح إن كنا نتعامل مع أناس متعقلين. ولكن ما دمنا لا نفعل، أظن أنّ عليك أن تفكري في احتمال وجود سبب آخر لطلبهم هذا».

ـ تعني نظريتك عن الزواج.

ـ نعم.

هزت رأسها وشدّت قبضتها.

ـ من السخافة الظن بأن طلب ساني هذا ناتج عن الرغبة في ما تقوله

أنت.

ـ ومن السخافة الظن أنّ هذا ليس الدافع إلى طلبها. إذا شئت أن تعرفي السبب الحقيقي لتدخلها، فهذا سهل، سنسألها.

ـ لا. لن أضع ساني في هذا الموقف المحرج.

ـ عزيزتي، إن ساني لا تعرف معنى كلمة «إحراج» وستستاء كثيراً إذا أدركت أنك تسيئين تفسير عملها.

ورأى أنها لم تقتنع فأضاف: «حسناً، لا بأس. لن نذكر حديثنا هذا لجدتك. بدلاً من ذلك سألقي نظرة على أعمالك وستساعديني أنت».

ـ ولماذا أساعدك؟

ـ لأن هذا ما تريده أسرتك، وسيكون اختباراً لشكوكك. فإذا استمروا في دفعنا نحو بعضنا البعض حتى بعد إنهائي عملي، يمكنك أن تفترضي بحق، أن هذا هو سبب مشروع ساني. هل كلامي صحيح؟

ـ هل هذا هو خياري الوحيد؟

ـ لا.

وأخذها بين ذراعيه، وعندما أحاطت رقبته بذراعيها تملكه السرور والدهشة. فتابع يقول:

ـ يمكنك أن تقبلي ما يقدّمه لك أقرباؤك دون تذمر أو جدل.

ـ وما الذي يقدمونه.

أخفض رأسه هامساً: «يقدمونني أنا».

أغمضت عينيها فعانقها. وكانت ناعمة، رقيقة مشتاقة، لكنه أدرك أنّ ذلك لن يدوم. لما زال هناك أسرار كثيرة ستثير المشاكل بينهما عندما تنكشف في النهاية، ولكن أولها انكشف وعالجه من دون أن يخسرها.

***

قال دانيال وهو يتهالك على كرسي بجانب مكتب روزي: «لا أدري كيف سنتفوّق على «ديل» و«هارلي». لقد نفعت طريقتهما جداً. فقد أمضى هاري وماديسون الأسبوع في العمل معاً دون أن يتخاصما مرة

واحدة».

فقالت روزي مكشرة وهي تنقر على مكتبها: «بل تخاصما مرات عديدة. وقد وصلا لتوّهما إلى ذاك الصمت الطويل المثير للاشمئزاز».

ـ كل ما أعرفه هو أنهما يتخاصمان في مكتبها. حاول أن تعثر على مبدأ ما في كتاب جونس.

ـ أنا واثق من أنني لا أتذكر مبدأ يتعلق بالمكاتب.

ـ لقد طالعت الكتاب، أنا أيضاً، مرتين ولم أجد شيئاً.

وألقت روزي بسماعة الهاتف على المكتب، باشمئزاز بالغ، ثم أضافت: «أنت محق. من كان ليظن أن هارلي وديل سينجحان في فهم أحد المبادىء. هذان الغبيان يمثلان العجز وعدم الكفاءة ويتعثران بالمصائب فكيف لهما أن يصيبا النجاح؟ هذا شيء لا يُصدق. إنهما حقاً...».

وجعلتها نظرة واحدة إلى وجه دانيال المصدوم تغير جملتها: «إنهما حقاً يثيران غيظي».

ـ ماذا علينا أن نفعل؟

فكرت قليلاً: «أتظن أنّ علينا أن نخطو نحو مصيبة علّنا نقع على النجاح، نحن أيضاً؟».

ـ أظن ذلك، مع الأسف.

ـ هذا هو الجواب الذي توقعته. ولكن إذا لم تتدخل بسرعة فقد لا يعود هاري وماديسون بحاجة إلى عوننا.

فهز عمها رأسه وقال: «آسف، يا عزيزتي، لا أدري كيف يمكننا التفوّق على هارلي وديل».

فألقت عليه نظرة محذرة: «حسناً، سنحاول. وسنقوم بذلك من دون أن تنتهي أنت في السجن. مفهوم؟».

ـ لكنني أحب المساعدة.

ـ هراء. لقد طلب منك القاضي أن تطرد هذه الفكرة من ذهنك، ومن

الأفضل أن تصغي إليه بدلاً من ذلك المحامي الكريه.

ـ عندما أقع في مشكلة ما لا يبدو الاهتمام على السيد بريانت.

ـ إنه لا يهتم طبعاً، فهو يكسب مبلغاً لا بأس به في كل مرة تقع فيها أنت في مشكلة.

لم يكن هذا الجدل ليوصلهما إلى شيء فعادت تقول: «كم بقي من المبادىء لنختار من بينها؟».

فتح دانيال الكتاب وأخذ يقلب صفحاته: «لم يبق الكثير. هناك مبدأ عن الكمال و...».

وسكت.

فقالت متكهنة بابتسامة راضية: «الرومانسية. هذا رائع. يمكنني إدخال الرومانسية».

ـ لم أسمع ما قلت!

ـ بل سمعت. وإنما أنت لا تريد.

ومالت إلى الأمام ورتبت على يده: «لا تخف. سأهتم أنا بكل شيء، ولن ترفع إصبعاً».

ـ أرجوك يا روزي. أنا أفضّل حقاً ألاّ تورطيني أبداً. خصوصاً وأن الموضوع يتعلق...

ـ استرح. فهذا سيكون أفضل من السجن. سترى.

وألقت نظرة إلى الممر المؤدي إلى مكتب ماديسون، وابتسمت بمكر: «سيكون ذلك أفضل من العمل في المكتب، وهذا ما أرجو أن يدركه هذان الإثنان قريباً».

***

٨ ـ الكمال غير موجود

المبدأ الثامن: الكمال غير موجود. لهذا،
ما هو المهم حقاً بالنسبة إليك؟

* * *

ـ كفّي عن هذا العناد، يا ماديسون.

فحملقت في هاري وسألته: «عناد؟ لديك الجرأة الكافية لتسميني عنيدة. لقد فتشنا محفظة أوراق هارلي منذ ثلاثة أيام فلماذا نفعل ذلك مرة أخرى؟».

ـ ما زال لديّ أسئلة تتناول أحرفاً ترمز إلى انتسابه إلى «الجيش الجمهوري الإرلندي».

ـ هذه الأحرف ترمز إلى رقم حساب تقاعده، يا هاري، ولا شيء في هذا يستدعي التحقيق.

ووضعت يديها على وركيها وأخذت تنظر إليه بارتياب بالغ: «أقسم أنك تتحجج».

ـ أوضحي كلامك.

وشبك ذراعيه على صدره، ناظراً إليها وكأنه يقول، أنا مرهب دنيا الأعمال ومن الأفضل لك أن ترتجفي خوفاً. بدا مثيراً للأعصاب، ولعل لهذا علاقة بطوله غير العادي، وبنيته المتينة. لكن تصرفه هذا لم يفلح في إثارة أعصابها أبداً، فهي أذكى من أن تدع هذا الأسلوب السخيف يؤثر عليها. والرجال أمثال هاري جونس بحاجة إلى امرأة كفؤ تقف في

وجههم، وهي المرأة المؤهلة لذلك.

هزت الملف تحت أنفه، وقالت: «راجعت كل ملف، وحساب، وسجل في مكتبي. والآن تريد أن تبدأ كل هذا من جديد؟».

وألقت بالملف على المكتب مردفة: «ليس هناك سوى تفسير واحد».

ـ وما هو؟

ـ أنت تتحجج.

ـ ولماذا أفعل هذا؟

ـ لا أدري، يا هاري.

وامتزج في صوتها السخط بالتهكم، وسألته: «هل لذلك علاقة بمنعي من التدخل في خطبة ساني وبارتلوميو».

رفع حاجباً واحداً كعادته. وكانت تجد هذه الحركة محببة إلى حد يثير الضيق، وهي غالباً ما تعبّر عن التهكم وتنتهي بالضحك.

يبدو أنه يحب أن يراها تضحك، إذ ملأ عينيه تألق رقيق. وقطبت جبينها، متى تطور بينهما هذا التفاهم الحميم؟ لا بد أنه بدأ يوم أخذها بين ذراعيه فيما كانت تحدّثه عن طفولتها، وسألها:

ـ لقد صدمتني. هل تخططين للتدخل في خطبة جدتك؟

ـ بالطبع لا.

وإزاء صمته المستمر، هزت كتفيها مرغمة نفسها على الصدق: «ليس كثيراً. أريد فقط أن اتأكد من عدم استعجالهما في الزواج».

فقال وهو يلتقط الملف الذي ألقته: «هذا ما ظننته. هلاّ ألقينا نظرة أخرى على استثمارات ابن خالتك».

ـ غير ممكن ولا معنى لذلك خصوصاً. فقد قمت بعمل جبار في السنوات الأربعة الأخيرة. اعترف بذلك يا هاري.

ـ لقد قمت بعمل جبار فعلاً.

ـ إذن انتهينا.

التألق الرقيق الذي لاحظته من قبل، أصبح أكثر عنفاً.

ـ لا . ما زال أمامنا الكثير .

ـ لا أظن أن الأمر يتعلق بآل سانفلاور وأعمالهم .

وأنقذه من الجواب قرع على الباب، ودخلت روزي قائلة: «سيد جونس. اتصل رجل يقول إنه زبون سابق، وإن الأمر مستعجّل. هل ستتصل به أم أخبره بالنيابة عنك أن يذهب إلى الجحيم؟».

ـ ما اسمه؟

ـ برادفورد .

وبدا المكر على وجهها فيما أجفلت ماديسون، متسائلة عما إذا فهم هاري ما تخفيه ابتسامة روزي . . . ولكن لماذا تزعج نفسها؟ سيكون من المسلي جداً أن تتفرج عليه وهو يواجه ما تخطط له ابنة خالتها المراوغة .

وسألته روزي :

ـ أتراه برادفورد من شركات «ألعاب الكمبيوتر»؟

ـ لا . ليس منها .

وسكت لحظة ثم قال : «بلى إنه من شركات الكمبيوتر» .

فضحكت، وتقدمت نحوه تهز ورقة في وجهه : «هذه لك» .

فنظر إليها بحذر : «ما هذه؟» .

ـ عندما تزوره قل له أن يعطيك نتيجة الألعاب التي دونتها على هذه الورقة . إنها لم تخرج إلى العلن بعد، لكنني لم أعد أستطيع الصبر .

ـ هذا غير ممكن .

ضاقت عيناها ونظرت إليه غاضبة :

ـ تدعي أنك كبير الشأن . لكنك لست كبيراً إلى ذلك الحد .

اغتنمت ماديسون فرصة انشغال هاري، فسحبت ملف هارلي من يده ودفنته تحت رزمة أوراق على المكتب .

ـ لقد خاب أملي، فقد ظننتك قادراً على كل شيء .

ـ يا إلهي!

وانتزع الورقة من يد روزي وحملق فيها متمتماً : «لو لم أكن مديناً

لك . . .» .

ـ نعم، نعم .

وعبرت الغرفة وتنورتها القصيرة تصدر حفيفاً . وعند الباب استدارت إليه، وقالت :

ـ احتفظ بغيظك واستيائك للضعفاء والجبناء يا جونس، فالذئاب الضخمة السيئة الطباع لا تخيفني .

ـ وماذا عن الأسود؟ هل توتر أعصابك؟ لأنني، وبشهادة خبير موثوق فيه، أتميّز بزئير قوي .

وجاء جوابها قهقهة خافتة تناسب تلميذة مدرسة لا فتاة صعبة المراس كما تحب أن تظهر .

انتظرت ماديسون حتى أغلقت الباب لكي تواجه هاري .

ـ حسناً، تكلم . ما الذي تدين به لها، ولماذا؟

وعاد قناع وجهه العملي إلى مكانه على الفور .

ـ إنها قضية شخصية .

ـ من أي نوع . . .

فقاطعها برقة : «لديّ اقتراح . . لمَ لا تأتين معي لزيارة برادفورد؟» .

ولم تشأ أن يفلت بسهولة، فسألته : «أتطلب مني هذا تغييراً للموضوع؟» .

ـ لقد تغيّر الموضوع، لكنك لم تدركي هذا بعد .

لقد تربّع الأسد على عرشه، وتصاعد زئيره عالياً واضحاً : «طلبت منك مرافقتي لسبب مختلف تماماً» .

ووصلت ماديسون إلى قرار . لقد تنازلت حالياً عن سؤالها عن روزي، وبإمكانها دوماً أن تثير هذا الأمر حين تحتاج إلى تغيير موضوع حديثهما .

ـ لا بأس، سآتي معك؛ مع أنني أريد منك أن تشرح لي لماذا قررت فجأة أن تصحبني معك .

ـ أمضينا أسبوعاً جيداً. جرت بيننا بعض المشاجرات التافهة، لكن عليك أن تعترفي بأن شيئاً ما حدث بيننا.

لم تشأ إنكار ذلك، فقالت: «وما دخل علاقتنا ببرادفورد؟».

تملّكه توتّر غريب، وأجابها: «أريد منك أن تعرفي من أكون، أريد منك أن تريني على حقيقتي وليس بعض نواحي شخصيتي».

صمتت للحظة، ثم سألته: «هاري، هل تخشى أن أغيّر رأيي فيك بعد أن أراك في العمل؟ وأن يتغير شعوري نحوك؟».

ـ شيء من هذا القبيل.

ـ لكنني رأيت هذه الناحية منك، لقد أمضينا الأسبوع الماضي معاً.

ـ ليس تماماً. فقد أمضينا الأسبوع الماضي في العمل بشكل غير جاد.

فقالت ساخطة: «كيف تقول ذلك؟ هل تسمّي ما جعلتني أقوم به لعباً؟».

وابتسم ابتسامة سريعة قبل أن يجيب: «لقد استمتعت بوقتي، ألم تفعلي أنت؟».

فأجابت رغم أنها قضت وقتاً رائعاً معه: «لا بأس. ربما قليلاً».

فمد يده وقال: «سأريك الفرق بين العمل واللعب.. كل ما عليك أن تفعليه هو مرافقتي».

وكان هذا تحدياً دون شك، فأمسكت يده الممدودة، وشبكت أصابعها بأصابعه.

ـ هيا بنا.

ـ سأتصل أولاً ببرادفورد لأخبره بأننا قادمان.

ـ عندئذ سأرى هاري جونس الحقيقي.

لم يضحك كما أرادت وقال: «بل سترين جزءاً كبيراً من شخصيته، وبعدها أريد رأيك المهني فيه».

ـ هناك مشكلة واحدة بالنسبة لهذا الموضوع.

ـ وما هي؟

ـ لن أعدك بأن أعطيك رأياً مهنياً، بل رأي فريق مستمتع بالأمر.

وانتزعت يدها من يده وسارت نحو الباب، ثم وقفت لتمنحه ابتسامة ماكرة وتضيف: «فريق في غاية الاستمتاع».

***

ـ أقدم لك «كنت برادفور» يا ماديسون، رئيس وصاحب شركة «برادفورد» للصناعات الخفيفة.

مدت ماديسون يدها تصافحه، آملة ألاّ يكون ذهولها جلياً. فالفتى الذي قدّمه لها هاري في ريعان الشباب، فكيف يمكنه أن يدير شركة بأكملها.

ـ سررت بلقائك، يا سيد برادفورد.

فقال باسماً: «ادعيني «كنت»، وعمري اثنان وعشرون عاماً».

فعبست: «هل كان التعبير على وجهي واضحاً إلى هذا الحد؟».

ـ لا، بل على العكس، كنت حساسة للغاية. الشخص الوحيد الذي لا يبدو عليه أيّ رد فعل أبداً، هو هذا الرجل.

وشدّ قبضته ثم ضرب هاري على ذراعه، لكن هذا الأخير لم يتأثر بل على العكس أجفل «كنت» نفسه، وأخذ يهز أصابعه المصابة وهو يقول لها: «لا تظني أنّ هناك ما يهزّه».

ـ ما هي المشكلة يا برادفورد؟

بدا واضحاً أنّ هاري لا يريد إضاعه وقته بالمزاح، إذ أردف قائلاً: «ظننت أننا سويّنا أمورك».

وفي لحظة واحدة استحال ذلك الغلام المازح إلى رجل متجهم الوجه. فقال: «وأنا أيضاً ظننت ذلك. لكن في الأشهر الثلاثة الأخيرة، أخذت الأمور تسوء، تسوء كلياً».

ـ ماذا حدث بالضبط؟

ـ لست متأكداً. ولهذا استدعيتك.

ـ تكلم باختصار.

www.elromancia.com

- حسناً، رحت أفقد أموالاً، أموالاً طائلة. ولا أدري لماذا أو كيف.
- هذا ليس عملي، عملي هو أن أخبرك ماذا عليك أن تفعل بأموالك عندما تحصل عليها، هل تتذكر؟ وليس أن تعثر عليها عندما تضيع.
- أعرف، أعرف، ولكن ليس لدّي شخص أثق به.
- استخدم مدقق حسابات.
- فعلت، لكنهم لم يستطيعوا العثور على شيء.
- هل كان من إحدى الشركات التي نصحتك بها.
- لا. لم تتمكّن تلك الشركات من الرد على طلبي حينذاك، فاضطررت إلى الاستعانة بشركة محلية أصغر.
- إذن، أقترح ألاّ تضيّع وقتي، وتستدعي أصحاب الخبرة، فإذا لم يجدوا شيئاً، سأعود وألقي نظرة أخرى.

وأجفلت ماديسون، فهذه هي الناحية من شخصيته التي يريد منها أن تراها.

- نحن هنا الآن. ماذا يضرّ لو أمضينا النهار في التحري؟

قاطعتهما بقولها هذا فالتفت «كنت» إليها برجاء: «شكراً. أنا أقدّر حقاً ما ستفعلانه. كما ترين، حققت شركتي أرباحاً ونجاحات بسرعة من دون أن أكون مستعداً لذلك. لهذا استدعيت هاري أول مرة، فأخبرني كيف أعالج هذا الانفجار قبل أن ينتهز الآخرون فرصة غيابي».

اكتفى هاري بتغيير وقفته، في حين لاذ «كنت» بالصمت.

- بما أننا سنبقى، تقديراً لمشاعر الآنسة أدامز الرحيمة، أقترح أن نبدأ العمل. أخبرني بالضبط عما أحدثته من تغيير في الأشهر الثلاثة الأخيرة؟
- أولاً، قسّمت الشركة كما نصحتني، ووظّفت أناساً لترؤس كل قسم. أناساً اخترتهم من القائمة التي أعطيتني إياها. استخدمت العمّال بعقود باطنية، كما قسّمت إيرادات الألعاب بالطريقة التي نصحت أنت بها وأصبحنا مستعدين لعرض المخزون لدينا. ومؤخراً وظّفت مجموعة من المساعدين والمحاسبين لتنظيم السجلات، وبعض المختصين بالأمور

المالية للتأكد من أن الاعتمادات المالية تُوظّف في المجالات المخصصة لها، واستخدمت محامين للاهتمام بالأمور القانونية للشركة.

- يبدو أنك على الطريق المستقيم.
- نعم، فقد جعلتني رجل أعمال حقيقياً.

فابتسم هاري: «لا بأس، يا برادفورد. لقد حصلت عليّ ليوم واحد. إنما تأكد من أن تعامل ماديسون بلطف بالغ فهي التي أقنعتني بالبقاء».

أومأ كنت، وقال: «لك ما تريد، يا هاري».

ثم غمز ماديسون وأضاف: «أنت طيبة القلب. أعدك بتنفيذ كل ما تطلبينه».

تذكّرت على الفور طلب روزي، فقالت: «قد أطلب منك خدمة. ذكرني بذلك قبل أن نغادر».

وغيّر هاري وقفته مجدداً، فلفت الانتباه إليه.

- الوقت يضيع، وأقترح أن نبدأ على الفور. أولاً، أحتاج إلى سكرتير، على أن يكون، أو تكون، من الذكاء بحيث لا يفضح سبب وجودنا هنا. وأحتاج إلى جهاز كمبيوتر وإلى هاتف بين الأقسام.
- ستحصل على ذلك في خمس دقائق. بالإضافة إلى قهوة لم تذق مثلها قط.

شكّلت الساعات التي تلت إلهاماً لماديسون. لم يتطلب الأمر سوى ربع ساعة من العمل مع هاري لتدرك ما عناه حين قال إنه كان «يلعب» الأسبوع الماضي. لم تر شخصاً من قبل بمثل هذا التركيز وهذه الطاقة الهائلة. كان ينتقلّ بسرعة من قسم إلى آخر، ويريها كيف تحلل المعلومات قبل المباشرة بالعمل. وتوقعت منه أن يستدعي رئيس كل قسم، لكنه لم يفعل، فسألته عن السبب. أجاب: «إذا كان المال يختفي، فهناك شخص مسؤول عن ذلك، وإذا ما استدعيتهم، فسيعلم المذنب بذلك، ويهرب من الشركة، لكن إذا استطعت مفاجأته، فستتوفر لدينا فرصة لاستعادة بعض الأموال. أرجو أن تكون نجاته من تدقيقنا الأولي في

الحسابات قد غرّته».

وعند العصر، دخل عليهما «كنت» مرة أخرى، وسألهما بلهجة يائسة: «هل وجدتما شيئاً؟».

ـ اعلم يا برادفورد، أنني لم أجد شيئاً. إذ لست مدقق حسابات، فظاهرياً تبدو الأمور صحيحة وقانونية. إن من فعل ذلك غطى آثاره جيداً. ما زال أمامي كشوفات لأراجعها وهذا كل شيء.

بدا الحزن والاكتئاب البالغين على «كنت»، وقال: «إنه قسم «لينك»، ولا أظنك ستجد شيئاً هناك».

فرفعت ماديسون رأسها بعنف وسألته: «لينك؟».

فاستطاع «كنت» أن يستعيد شيئاً من بشاشته الماضية.

ـ «لينك سميث». وهو يبدو فتياً أكثر مني لكنه غاية في الذكاء. ما من رقم لا يستطع التغلب عليه.

حاولت ماديسون أن تستجمع أنفاسها. لا... هذا غير ممكن.

ـ «لينك» هذا... هل هو من يحرر الشيكات كلها؟

ـ معظمها على ما أظن. وهذا ما استخدمته من أجله. لماذا؟

فنظرت إلى هاري، وقالت: «أعرف أنك لا تريد أن تشرك أياً من رؤساء الأقسام في الأمر، ولكن أظن أنّ علينا أن نزور «لينك»».

فقال من دون أدنى تردد: «عظيم. فلنذهب».

مد «كنت» يده إلى الهاتف الموضوع على مكتب هاري، قائلاً: «سأتصل به لأخبره أننا في طريقنا إليه».

فأخذت ماديسون السماعة من يده وأعادتها إلى مكانها بلطف، قائلة: «لمَ لا نجعلها زيارة مفاجئة؟ ولمَ لا نقوم بها الآن؟».

أومأ «كنت» موافقاً وهو يتجه نحو الباب، لكن هاري بقي مكانه، قائلاً: «ماذا حدث؟».

فقالت بصوت خافت للغاية: «ربما لا شيء».

ـ لكنك لا تظنين ذلك.

فهزت رأسها وقالت: «أنا واثقة تماماً من أننا سنحل مشكلة السيد برادفورد اليوم. لكنني أشك في أن يُسرّ بما سنجده».

ـ أراهن على أنه كان يعلم ذلك قبل أن يستدعينا.

وضعت ماديسون يدها على ذراع هاري. فتوترت عضلاته تحت أصابعها، محذّرة إيّاها من سرعة تأثره بلمستها، إذ يبدو أن تأثيرها فيه بقدر تأثيره فيها.

ـ هاري؟

انتظر ما ستقوله، فأرغمت نفسها على الكلام: «كما لن تكون أنت أيضاً سعيداً بما سنجد. في الواقع، قد تغضب أشد الغضب».

ـ لماذا؟

نظرت خلسة إلى «كنت» الذي يراقبهما بفضول واضح.

ـ أفضّل ألاّ أشرح لك الأمر قبل أن أتأكد. إنما لا تقل إنني لم أحذرك.

يقع مكتب المحاسبة في الطابق السفلي من المبنى لذا صعد الثلاثة في المصعد بصمت. ولاحظ «كنت» لهفتها فبدا التوتر على ملامحه الفتيّة. كان الباب المؤدي إلى مكتب «لينك» مغلقاً، فسار هاري أمامهما وفتحه من دون أن يطرقه.

دخلت ماديسون إلى المكتب أولاً. وما هي إلا نظرة واحدة حتى تأكدت لها أسوأ مخاوفها. قالت تحيي ابن عمها الصغير:

ـ مرحباً، يا لينكولن، كنت أتمنى ألاّ أجدك هنا.

ـ ماديسون!

وتعاقبت المشاعر على وجهه. الذهول، والقلق وأخيراً الذعر الجلي!

ـ ما الذي يجري؟

فقالت وهي تجاهد للحفاظ على هدوئها: «أظنك تعلم. أرى أن أبي قد أورثك مهنة الأسرة».

ـ أنا محاسب، إذا كان هذا ما تعنين.

www.elromancia.com

بدأت ترتجف من دون أن تتمكن من منع ذلك، وحاولت أن تهدىء من روعها من دون جدوى، حتى وجود هاري لم ينفع.

- المحاسبة ليست مهنة الأسرة وأنت تعرف ذلك. ليست، على الأقل، المهنة الحقيقية.

فقال «كنت»: «وما هي مهنة الأسرة؟».

احمر وجه ماديسون ولم تستطع النظر إليه وهي تجيب: «الاختلاس».

وقال «لينك» مخاطباً رئيسه بيأس: «عليك أن تستمع إليّ، يا سيد برادفورد. هذه المرأة مجنونة. أنا محاسب، أتعامل بالأرقام، وأنا أكتب الشيكات وأراجع الحسابات، وهذا كل شيء. أقسم على ذلك».

فقال «كنت» برباطة جأش مدهشة:

- أرجو أن يكون الأمر كذلك. ولكننا درسنا بعض تلك الشيكات على سبيل الاحتياط.

تقدّم هاري إلى الامام مادّاً يده:

- أظن أنّ دوري قد حان لتقديم نفسي. اسمي جونس. ويمكنك أنّ تقول إنني الرجل الذي يرعى مصالح برادفورد، والذي يحرص على ألاّ يتمكّن أحد من الاحتيال عليه لسلبه نقوده. وأنا الرجل الذي يمكنه أن يذل من يحاول ذلك.

وكشرّ عن أسنانه مضيفاً: «هل هذا تحذير عادل؟ وعندما أذّل أحدهم يبقى كذلك إلى الأبد».

فاتسعت عينا «لينك»، وتلعثم: «جونس؟ هاري جونس؟».

ونهض متعثراً، وأخذ يتراجع بسرعة وهو ينظر إلى يد هاري وكأنها مخالب حادة.

عندئذ أدركت ماديسون أنّ ابن عمها مذنب حتماً. كما اكتشفت ما هو أسوأ بكثير: إن هاري مخيف فعلاً كما ادّعى دوماً. ومنذ انحبست معه في المصعد، وهي تحاول بحماقة أن تنكر شخصيته المسيطرة. ولعلها

الوحيدة في العالم التي لم تدرك ذلك من النظرة الأولى، فحتى روزي أدركت قوته المسيطرة تلك وحاولت أن تنافسها بطريقتها الخاصة.

أغمضت ماديسون عينيها. لقد دعت هاري أسداً منذ البداية، لكنها لم تصدق ذلك حقاً، ولهذا أصرّ على أن ترافقه. أراد أن ترى شخصيته الحقيقية... إنه رجل عدواني بالغ الشراسة. لكن مواجهة هذه الحقيقة لم تغيّر شعورها نحوه، بل لعلها غيّرت شعوره هو نحوها، خاصة بعدما علم حقيقة ماضيها.

قال هاري يخاطب «لينك»:

- أظنك سمعت بي. حسناً هذا سيسهل علينا الحديث.

- لقد حذرني عمي...

وسكت ابن عمها فجأة حين أدرك ما كان على وشك أن يقوله ثم أضاف: «أحب أن استدعيه إذا لم يكن لديك مانع».

فقالت له ماديسون برقة: «أنت بحاجة إلى محام وليس إلى محاسب لا تزعج نفسك بالاتصال بأبي، بل أقترح أن تستدعي العم تايلور».

لم تستطع احتمال ذلك أكثر، فأحد أقرب أقربائها متورط في قضية اختلاس حقيرة، وربما ساعده أبوها في ذلك، أو على الأقل نصح ابن عمها في كل خطوة خطاها على هذا الطريق، وهذا جزء آخر من الحادث الفظيع الذي يسبب لها الأسى، تلك الفترة من ماضيها التي لم تستطع حتى الساعة الاعتراف بها أو مواجهتها.

وبصمت، استدارت وتركت المكتب، ولم تتوقف في الخارج بل تابعت السير نحو مدخل شركة برادفورد.

فتحت الباب ونزلت الدرجات المؤدية إلى الطريق بقدر ما مكّنها حذاؤها العالي الكعبين من السرعة. لم يكن لديها فكرة عن وجهتها، فجلّ ما أرادته هو أن تبتعد عن «لينك» والذكريات التي أثارها في نفسها.

لم تسمع صوت خطوات هاري خلفها، وكانت تحث الخطى عندما شعرت بذراع حديدية توقفها ثم تديرها لتواجهه وهو يسألها: «إلى أين

أنت ذاهبة؟».

فقالت منفعلة وهي تلهث: «لا أدري، ولا أهتم لذلك. إلى أي مكان بعيد عن هنا».

ـ لماذا؟ ألا تدركين أنك ساعدتنا؟ إذا كنت على حق بالنسبة إلى «لينك»، فقد أنقذت شركة برادفورد، أو على الأقل قسماً كبيراً منها.

ـ تباً، يا هاري! ألا تفهم؟ اسمه ليس «لينك سميث»، بل «آدامز» لينكولن آدامز، وهو قريبي. ابن عمي تحديداً.

فقال بلهجة اختلط فيها العطف بالقسوة: «آسف يا ماديسون. أنت تعلمين أن هذا لا يغيّر مجرى الأمور».

لم يفهم بعد: «أعلم ذلك طبعاً، وهذا أحد أسباب تكدري».

ـ وما هي الأسباب الأخرى؟

فأشارت بإصبع مرتجفة إلى مكتب برادفورد ونطقت بالكلمات التي ستحقّرها في عينيه:

ـ أنا جزء من كل هذا. وكأنني أنا من فعل.

ـ وما الذي تتحدثين عنه بحق الجحيم؟

وتصاعد الشرر من عينيه ينذر بغضبه وتابع يقول: «أنتِ لستِ مثله. ولا يمكنك أن تكوني مثله. لعلي لم أعرفك منذ زمن بعيد، لكنني أعرف هذا عنك، يمكنني أن أتفهّمك إذا كنت لا تريدين إذلاله، ولكن...».

فخلصت نفسها من قبضته وصرخت: «لا، أنت لا تفهم».

ـ اشرحي لي الأمر إذن.

ـ لا أستطيع. ليس هنا، ليس بهذا الشكل، ولا عندما...

وتهدج صوتها وجاهدت للتحكم بنفسها وهي تردف قائلة: «ليس عندما ينتظر لتدخل عليه وتمزّقه إرباً».

فجمدت ملامح هاري وسألها: «هل هذا ما سأفعله؟».

ـ هذه طبيعة الأسود، أليس كذلك؟

وكان كلامها إقراراً بواقع، لا يمكن لأي منهما أن ينكره.

ـ نعم، أظن ذلك.

ـ كما أنها طبيعة الأفاعي عندما تتعرض للخطر.

ـ هل هذا تحذير؟

ـ فعلاً. «لينك» لا شيء بالنسبة إليك، ولكن الذين جعلوه يقوم بهذا العمل سيبذلون جهدهم لكي يحموه.

وارتجفت وهي تضيف: «وهم يتمتعون بالكثير من القوة والنفوذ».

ـ سأنتبه.

ـ وعلى «كنت» أن يفعل ذلك أيضاً.

وأرغمت نفسها على إعطاء هاري المعلومات التي سيحتاج إليها لكي ينهي عمله وكان هذا أقل ما تستطيع عمله في هذه الظروف.

ـ إذا شئت أن تنقذ بعض المال، أقترح عليك أن تراجع أسماء الزبائن المتشابهة، «صناعة ستيفيلد» و «تسويق ستيفلد» على سبيل المثال. المحاسبون غير المتمرسين لا ينتبهون لهذا الغش لأنهم يظنون أنهما قسمان منفصلان لشركة واحدة. ولكن أحدهما يكون قانونياً والثاني زائفاً، وبالتالي يختلس «لينك» أموال الشركة بالدفع بموجب فاتورة مزوّرة إلى القسم المزيف من الشركة، ويمكنك أيضاً أن تتأكد مما إذا أرسل منتجات إليهما، فلعله باع البضائع في السوق السوداء. لكن أرجو ألاّ يكون قد تمكّن بعد من استخدام هذا الأسلوب.

وتملكها الارتياح عندما لم يسألها هاري كيف عرفت كل هذا.

ـ انتظريني على الأقل حتى أنهي عملي هنا.

ـ لا أستطيع.

عجزت عن مواجهة «لينك» مرة أخرى، لا سيما بعد ما حدث، فهي تشعر أنّ بعض الذنب ذنبها قالت له: «لا تقلق يا هاري، لست الخالة «ديل». وأعرف كيف أجد طريقي، إلى البيت».

ولا بد أنه أدرك مدى عزمها إذ سكت ولم يكمل النقاش.

ـ لا بأس يا ماديسون، اذهبي إذا كان هذا ما تريدينه. لكن اعلمي أنّ

www.elromancia.com

هذا الحديث لم ينته بعد.

ـ أعلم هذا جيداً.

واستدارت لتذهب، ثم تذكرت شيئاً آخر فالتفتت إليه وقالت: «لا تنس الألعاب التي طلبتها روزي».

ـ تلك الألعاب هي آخر اهتماماتي الآن.

ـ لن تبقى كذلك إذا ما نسيتها، لأن روزي لن تكفّ عن تذكيرك بها.

وترددت قليلاً ثم تابعت: «وربما من المناسب أن تعرّف «كنت» إلى روزي».

ففقد أعصابه هذه المرة، وقال: «لا بد أنك تمزحين.. السماء تكاد تطبق على الأرض، وأنت تعملين سمسارة زواج».

فهزت كتفيها وأجابت: «لعل في ذلك خيراً. وقد يساعد...».

وتهدج صوتها مرة أخرى، وأدركت أنّ عليها أن ترحل قبل أن تنهار.

ـ أرجوك أن تبقي، يا عزيزتي.

ـ لا أستطيع.

ـ عديني إذن أن تأتي إلى الفندق هذا المساء.

ـ سأحاول، وإذا لم استطع، فسأراك صباحاً في مكتبي.

وتذكرت فجأة، فشعرت بألم بالغ وقالت: «لكننا أنهينا كل شيء، أليس كذلك؟».

فرد بحدة: «لا. لم ننتهِ».

فهمست: «بل أظن ذلك، بشكل ما».

***

٩ ـ الحب هو الأفضل

المبدأ التاسع: الرومانسية شيء حسن.. لكن الحب هو الأفضل

***

كانت شمس المغيب قد قبّلت لتوّها جبال الأليمبياد عندما دخلت ماديسون إلى الفندق الذي ينزل فيه هاري. استقلّت المصعد إلى الطابق الأخير ثم سارت إلى باب جناحه. أحسّت براحتيها رطبتين لشدة توترها فأخذت تمسحهما على فخذيها. كان عليها أن تغيّر ملابسها قبل حضورها، فثوبها الوردي الذي ارتدته هذا الصباح أصبح مجعداً الآن. ومع أنها كانت تودّ أن تجد عذراً لتهرب، إلا أنها لم تستطع. فهي تدين لهاري بما هو أكثر من ذلك. ومن دون طول تفكير، شدّت قبضتيها ووقفت عند الباب. وقبل أن تسحب نفساً عميقاً، انفتح الباب، ووقف هاري فيه يحدّق فيها. لم يبدُ سعيداً، ولم تعرف ما الذي ترك لديها هذا الانطباع، أهو شعره الأشعث، أم ربطة عنقه المائلة بعض الشيء، أم الغيظ والاستياء المرتسمان في عينيه. نعم، ربما هذا هو السبب.

ـ أيتها السيدة، أنت في ورطة جهنمية.

أعلن ذلك وهو يرفعها ما بين ذراعيه، ويغلق الباب خلفهما. وأخذت تقاومه بضربة متوحشة وحيدة، قائلة: «هل فقدت عقلك؟ أنزلني».

ـ هل فقدت عقلي؟

طنّ هذا السؤال في أذنيها وقد تخلله الغضب والإحباط و... أيمكن أن يكون الخوف؟

وتابع يقول: «من المضحك أن يصدر هذا عنك».

ـ ما الذي تتحدث عنه؟

سار نحو غرفة الجلوس، وألقى بها واقفة على قدميها، ثم رفع حقيبتي يدها وأوراقها عن أحد المقاعد ليهزهما أمامها: «أتحدث عن هاتين، لقد تركتهما في مكتب برادفورد عندما هربت. حالما أدركت أنك نسيتهما، طفت المدينة كلها بحثاً عنك. هل لديك فكرة عن مدى قلقي، وأنا أتصورك هائمة في المدينة دون مال أو هاتف خليوي؟».

ـ آه! لقد طلبت سيارة أجرة.

لم يشبع جوابها فضوله، فقد تملّكه التوتر، وملأ الجو وعيداً.

ـ وكيف دفعت أجرتها؟

لكنها لم تدعه يرهبها بصياحه فوضعت يديها على وركيها وواجهته قائلة: «لدي حساب مع الشركات المحلية، فخالتي «ديل» تتوه في المدينة باستمرار. وأخيراً وجدت أن هذا الحل هو الأمثل للمشكلة، مع العلم أن هذا ليس من شأنك. أنا امرأة كبيرة، يا هاري، ويمكنني رعاية نفسي».

ـ إذا كان اليوم مثالاً على قدرتك على رعاية نفسك، أقترح أن تعيدي تقويم حكمك على الأمور.

وأخذ يذرع الغرفة أمامها والكلمات تتفجر من بين شفتيه: «ما الذي كنت تفكرين فيه يا ماديسون بحق جهنم؟ فأنت لا تسيرين خطوة دون هاتفك. لم يعلم أحد في المكتب أين أنت، وقد تملك الذعر أفراد أسرة سانفلاور كلهم».

أفراد أسرة سانفلاور أم أنت؟ ولم تجرؤ على طرح هذا السؤال عليه، بل قالت: «أظن أنه كان عليّ أن أتصل بك، لكنني احتجت لبعض الوقت لأفكر».

وسارت إلى آخر الغرفة محدّثة نفسها بأن ابتعادها عن هاري ليس متعمّداً. لكنها تشعر بالراحة في هذا المكان وفي كل ما يبعدها عن مخلبيه، ولا علاقة لذلك بالتوتر الذي يتملكه، أو بالطريقة التي يذرع بها

الغرفة كالأسد في قفصه.

وتابعت الكلام قائلة: «كما أنني اتصلت بروزي وطلبت منها أن تعلمك بأنني سأحضر إلى الفندق هذا المساء، ولا ذنب لي إذا لم تفعل».

ـ ذكريني بأن أتفاهم مع تلك الفتاة، فهي ليست عديمة المهارة في الاتصال وحسب، بل تعمل على تنظيم أموري كما تشاء.

فنظرت إليه ماديسون بحذر وسألته: «ماذا فعلت؟».

ـ عدا عن أنها لم توصل لي رسالتك، اندفعت إلى فندقي وأخذت تغيّر ترتيب المكان.

وأشار إلى غرفة الطعام، فرأت المائدة وقد أُعدّت لشخصين، والشموع الحمراء تنتظر عود ثقاب. وبدلاً من الزهرية التي رأتها أثناء زيارتها الأخيرة لاحظت شجيرة غريبة الشكل وسط المائدة. لا بأس.. ربما ما كان لروزي أن تدخل دون إذن منه ولكن ما فعلته لم يبدُ شنيعاً، وهو، بكل تأكيد، لا يستلزم الغيظ أو الانزعاج.

ـ لعلك على صواب في أن أسرتي تحاول تزويجنا. وأظن أن روزي قررت أن تهيء المكان ليبدو رومانسياً عندما علمت أنني قادمة إليك.

فتخلل شعره بيده، وقال: «أتظنين ذلك؟ لقد أحضرت معها عشاءً».

ـ وهل هذا الأمر سيء؟

ـ يبدو أنّ العشاء في عالم روزي يتألف من شوكولا وعسل وقشدة.

ـ آه، رباه.

ـ ولم تكتف باختصار العشاء بل أرفقت كل ذلك بتعليمات. وتبعاً لقول روزي، عليّ أن أتعلم الطريقة المثلى لكي... ماذا قالت بالضبط؟ حسناً، (لكي أعبّر عن اندفاعي القوي). وبالمناسبة إنسي مسألة تعريفها إلى «كنت». فإذا كنت تظنين أنني سأدفعها نحوه، فأنت مجنونة. لأنني لا أريد لمجنونة أن تفسده، إنه صبيّ لطيف. عليك أن تعرفي ماذا فعلت أيضاً.

احمرّ وجه ماديسون، فثمة أشياء عن ابنة خالها تفضل ألاّ تعرفها.

ـ هاري.

ـ لم أنته بعد. فهي لم تجهز لنا العشاء فقط، بل تركت هذه الشجرة.

ولو لم يكن الأمر جاداً لضحكت لملامحه الساخطة، وتحوّلت نظراتها إلى الشجيرة التي تزين المائدة.

ـ هل تركتها روزي لك؟

ـ لا بل تركتها لك أنت. شجرة سحرية ذات أوراق مصنوعة من رقائق معدنية من كل لون وشكل، تمنع صاحبها من أن يسبب لشريكه الإرباك أو الإحباط أو أن يواجهه بالممانعة والصد.

ولمعت عيناه تنبهانها إلى أنه من الحكمة أن تحتفظ بملاحظاتها لنفسها.

ـ آسفة لتكدير روزي لك. سألفت نظرها إلى هذا الأمر حالما أراها في الصباح.

فتوقف عن السير والتفت إليها قائلاً: «ليس هي من كدّرني، بل هي من أصبّ عليه جام غضبي لئلا أصبّه على المذنبة الحقيقية».

ولم تكن ماديسون تحتاج إلى ذكاء فائق لكي تدرك معنى كلامه.

ـ أنا؟

ـ نعم أنت. ولا أعني اختفاءك، فهذا مجرد جزء منه.

ـ ماذا تعني إذن؟

ـ أعني الطريقة التي تتملصين بها مني وخوفك من الالتزام. أتكلم عن ردة فعلك على ما حدث في شركة برادفورد اليوم، وأتكلم عن هربك لدى أول إشارة من رجل يحاول التقرّب منك.

وعقد ذراعيه على صدره، وسمّرها بنظراته الأسدية مضيفاً: «ما الذي يحدث، يا ماديسون؟ أوضحي لي الأمر».

تنفست بعمق. لا يمكنها إخفاء الأمر أكثر من ذلك، فهاري يستحق الصدق، وهذا ما ستمنحه له، مهما آلمها ذلك. وقالت: «لا أظن أنّ العلاقة بيننا ستنجح».

ـ لماذا؟

هذه الكلمة الحادة كالسكين، جعلتها تدرك أن مشاعره نحوها ما زالت حارة عاصفة، بالرغم من مظهره الهادىء. وتوجهت نحو النافذة وأزاحت الستائر جانباً، متظاهرة بالاهتمام بالمنظر. إلاّ أنّ مشهد المدينة لم يكن يحظى باهتمامها، بل الرجل الذي يقف خلفها ويمنعها من التركيز على أي شيء آخر.

ـ لأننا مختلفان جداً.

ـ هذا بسبب «لينك» أليس كذلك؟

ـ ليس لابن عمي علاقة بقراري هذا. لقد أوضح لي فقط خطورة بعض الحقائق.

ـ مثل ماذا؟

التفتت إليه، فوجدت أنّ الأسد قد اقترب منها مما جعلها تتراجع.

ـ مثل... مثل أننا من عالمين مختلفين كلياً.

اقترب منها إلى حدّ جعل التوتر يتملكها، كما استطاع، في الوقت عينه، أن يسدّ عليها منافذ الهرب كلها.

استدارت لتواجهه. لماذا هو بهذه الضخامة؟ لو أنه رجل متوسط الحجم لما استطاع أن يفلت منها بأساليبه هذه. وقال يناقشها: «بل قولي إننا متماثلان في أمور عديدة».

ـ أنت مخطىء.

ـ أحقاً؟ سنرى..

ومد يده يفك ربطة عنقه، وهو يضيف: «إننا عمليّان».

رفعت رأسها بشيء من التحدي، متظاهرة بعدم رؤية حركته هذه، وبعدم اهتمامها بها، بينما تابع هو:

ـ لكنني اكتشفت مؤخراً أنني لست عملياً كما كنت أظن. اكتشفت أنني لم أتصرف بشكل عملي على الإطلاق، في الأسبوعين الأخيرين.

وألقى بربطة عنقه جانباً وهو يقول: «ونحن ممتازان في العمل».

- تعني أنك ممتاز في عملك. يبدو أنني كنت ألعب أثناء العمل.

فتابع كلامه وكأنه لم يسمع شيئاً: «كما أننا نميل إلى فرض آرائنا على الآخرين في ما يتعلق باستثمار نقودهم».

فصرخت قائلة: «إياك أن تقول إننا من المستوى نفسه. فما دام أبي يعرف هويتك، فهذا يعني أنك مهم.. كبير الشأن جداً».

- لقد أنذرتك منذ البداية.

وحيّرتها الرقة في لهجته، ربما لأنها تتناقض مع العنف البادي في نظراته.

- إذا لم تصدقيني حينها، فهذا ليس ذنبي. هل أنا بحاجة إلى ذكر صفة (رهيب)؟ أذكر أنني أخبرتك أنهم أطلقوا عليّ هذه الصفة في أكثر من مناسبة.

- لا تذكّرني. لقد أدركت أنك أسد منذ رأيتك للمرة الأولى. كان علي أن أطيع غريزتي منذ البداية.

- ولماذا لم تفعلي؟

- لأننا حينذاك كنا.. كنت في المصعد.. كنت..

وتنهدت ساخطة: «أنت تعرف ما أعنيه، لم يكن يحق لك أن تعانقني وكأنك شخص طبيعي، لتتحوّل عند عودة الأنوار إلى شخص آخر».

- حاولت أن أطمئنك، لا أن أضللك.

وكان قد أنهى فك أزرار قميصه، فنظر إلى أزرار كميه. كانت من الذهب الخالص فنزعها وألقى بها على الطاولة وكأنها رخيصة لا قيمة لها.

- ما جعلك تتجاهلين الحقيقة هو أنك لم تشائي مواجهة النتيجة.

- ماذا تعني بهذا؟

- أعني أنك أمسكت بالأسد من ذيله، ولم تعرفي ماذا عليك أن تفعلي به.

- حسناً، أنا أعرف الآن، لذا سأطلق سراحه.

- فات الأوان، يا حبيبتي.

فتسارعت أنفاسها وسألته: «لمَ تفعل هذا؟ لمَ لا تقبل حقيقة أنّ العلاقة لن تنجح بيننا، وتدع كل شيء؟».

- أتعنين أن أدعك ترحلين؟

- نعم!

فقال: «هذا غير ممكن».

وبخطوة واحدة، وصل إليها. كل ما فيه يوحي بالرجولة، رائحته المميزة، عضلاته القوية، صوته المميّز، ولمعان عينيه الذي يعكس أحاسيسه: «اعترفي، يا ماديسون، بأنك تريدينني بقدر ما أريدك».

- هل أنت بحاجة لسماع اعترافي؟

لقد انجذبت إليه منذ سمعت صوته، ولعلها تأثرت بمبادىء الحب السخيفة الواردة في كتاب بارتلوميو. لكنها أخذت تتساءل عما إذا كان الأمر سهلاً. لقد ارتبطا في المصعد وهما متشابهان مهما حاولت الإنكار، ولكن هذا لا يعني أنه مقدر لهما الارتباط إلى الأبد. ومع ذلك...

همست: «هاري. سألتني إن كان بإمكاننا إقامة علاقة».

حاول أن يقرأ ملامحها، ليحلل سبب قولها هذا وهدفه.

- وهل أنت موافقة؟

- نعم.

- لكن أيّ نوع من العلاقات تريدين؟

فأجابت: «لا أريد أيّ التزام، أو تعهدات».

لماذا لم يدهشه ذلك؟

- هل أنت واثقة من أنّ هذا ما تريدينه؟

- حتماً.

- لكنني أرفض ما تقولين فليست الرغبة هي ما أنشدها منك بل شيئاً اسمى بكثير... فالرغبات سرعان ما تخبو أما الحب فلا يطفئه شيء وهذا ما ستؤمنين به في النهاية.

وضمها بين ذراعيه، منهياً كل نقاش. كانت لمسته قوية ودافئة،

واستسلمت لعناقه دون تردد أو شكّ.

ـ أليس الحب ما تريدين؟

ـ لا، ليس هو ما أريد.

غاصت يده في شعرها، رافعاً الدبابيس بسهولة، فانهمرت على كتفيها شلالات شعرها السوداء، واستقرت على ظهرها.

تحركت، فشدّ عليها أكثر ليسلب أيّ اعتراض، بعناق متلهف محرق، لقد طلبت علاقة دون وعود وعهود، ولكنه يرفض ذلك..

ـ قولي إنك تحبينني؟ قولي ذلك واعترفي بمشاعرك الحقيقية.

ـ أرجوك يا هاري... لا تطلب مني ذلك.

ـ قولي إنني الرجل الوحيد الذي تريدينه وتحبينه.

ارتفعت يدها إلى وجهه تتلمس ملامحه الحبيبة وتأوهت بقنوت مسموع.

ـ أنت من أريده يا هاري... أنت فقط.

فاندفعت أنفاسه من رئتيه بآهة صامتة. لطالما فاخر بقدرته على السيطرة على نفسه، لكن هذه المرأة العنيدة تكاد تضعفه وتسلب شجاعته.

وأزاح هاري خصلات الشعر عن وجه ماديسون، وهو يحتضنها في لحظة شوق لا تشبه أي شعور عرفه من قبل. بينهما رباط لا ينفصم أبداً.. سواء أدركت ذلك أم لم تدركه، إنها جزؤه الثاني وهو لن يدعها ترحل.

***

كانت مستكينة إلى عناقه، مستمتعة بقوته.. وصلابته، ورعايته لها، وحبه. وقالت: «أنا حمقاء».

فابتسم بحنان وسألها: «لماذا؟ لأنك لم تدركي مقدار تشابهنا بالسرعة التي أدركت أنا فيها ذلك؟».

ـ نعم. كنت أخشى أن نؤذي بعضنا بعضنا...

ـ نؤذي بعضنا...؟

وهز رأسه ساخطاً وأضاف: «أنت تتحدثين عن مشاعرك وكأنها مرض

يمكنك مواجهته بالصبر. ألم تفهمي بعد؟ أنا أريدك أنت، أنت كلك، بقلبك وروحك وجسدك».

ـ هاري..

ـ لا تقاطعيني يا ماديسون.

وأدناها منه أكثر ثم تابع يقول: «أنا أتحدث عن الزواج، يا حبيبتي. عن الدوام، أعني خاتماً في الإصبع.. وعدداً من الأطفال يملؤون المنزل، يكبرون معاً، ويلهون معاً. أريد أن أبدأ معك حالاً لنسير قدماً إلى أن نصل إلى السعادة طوال الحياة».

كانت كلمات تنتظر أيّ امرأة سماعها طوال حياتها، وآلمتها أكثر مما توقعت.

ـ لا، لا أرجوك. أنا لست المرأة التي تظن.

طبع قبلة على جبينها فمالت نحوه، ووضعت وجنتها على قلبه. فقال: «إن فيك كل ما تمنيته في زوجتي، لا بل أكثر».

فعادت تحاول: «هاري...».

ـ سأتكلم أنا أولاً يا ماديسون. قبل أن نتحدث عن المستقبل هناك أمر أريد أن أطلعك عليه، أمر أخفيته عنك».

فتمتمت تقول: «هذا يجعلنا اثنين».

لكن بدا وكأنه لم يسمع، إذ قال: «أردت أن أخبرك منذ البداية، لكن ساني طلبت مني أن أتريث».

ـ يبدو أنّ عليّ أن أتحدث إلى تلك المرأة.

ـ في الواقع، كنت سأخبرك أثناء ذلك الغداء في أول يوم التقيتك فيه. لكن ذلك الغداء لم يحصل قط، ثم جاءت تلك الحادثة في المصعد، وقلت أنت تلك الأشياء عن الكتاب. وعندما علم أبي وساني بشعورك نحو الكتاب، طلبا مني أن أنتظر حتى تقرئيه وتدركي أنه ليس من نوعية الكتب التي تظنينها.

ـ ما الذي تتحدث عنه؟

فتنفس بعمق وأجاب: «في المرة القادمة سأطيع غريزتي ولتذهب اللياقة إلى جهنم».

ورفع وجهها إليه يتأمل ملامحها. لقد رأت تلك العزيمة القوية من قبل، رأتها في عينيه قبل أن يخاطب ابن عمها بذلك العنف.

وسمعته يقول: «الحقيقة هي أنني مؤلف كتاب (مبادىء الحب) وليس أبي».

***

١٠ ـ ثق بغريزتك . .

المبدأ العاشر: ثق بغريزتك وانتهز الفرصة...
إذا رأيت أن الشخص مناسب لك، فاتبع غريزتك، ولا تدع الخوف أو التردد يقف حائلاً بينك وبين الحب الحقيقي

***

تطلّب استيعابها لكلمات هاري ثوانٍ، وما إن استوعبتها، حتى ابتعدت عنه وسألته: «أنت الذي كتبت الكتاب؟».

ـ نعم.

فتراجعت أكثر، ونظرت إليه بحذر متسائلة: «لماذا يدّعي أبوك إذن أنه الكاتب؟».

ـ أنا من طلب منه ذلك.

ـ لا أفهم.

ـ أنا اقتصادي، يا ماديسون، أتعامل مع الوقائع والأرقام. من ذا الذي يؤمن بكتاب عن الحب كتبه خبير مالي؟ كما أنني لست بائعاً، لا يمكنني أن أفتح مكتبة وأمضي فيها أيامي مصافحاً الزبائن، فهذا سيجعلني أجن. لديّ أعمالي لأديرها. . . ذلك العمل الذي أمضيت سنوات في إنشائه.

ـ لكن هل بإمكان أبيك أن يحلّ مكانك؟

ـ أبي يعشق التعرف إلى الناس، لقد خُلق اجتماعياً، كما أنه يؤمن بكتابي.

ـ وأنت، ألا تؤمن به؟

www.elromancia.com

فهز كتفيه وأجاب: «بلى، لكنني لا أظنه يستحق كل ذلك الاهتمام الذي لقيه. في الواقع، بدأت بكتابته كتسلية تصرف ذهني عن العمل. وهو عبارة عن أفكار كنت أدوّنها أثناء رحلاتي في الطائرة. وعندما فرغ ذهني من الأفكار، أرسلت الأوراق إلى أبي، علّه يتسلّى ويضحك قليلاً وهو يرى ابنه العاقل يكتب عن مبادىء الحب. لكنه بدلاً من ذلك، رتّب الأوراق التي أرسلتها في شكل كتاب وأرسله إلى الناشر. ولم اكتشف مافعله حتى رمى بالعقد على مكتبي، وهكذا، يمكنك القول إنه ساهم في تأليف الكتاب. فقد أسهب في التفاصيل والشرح وبذل وقتاً وجهداً أكثر مما فعلت أنا.

- لماذا لم تخبرني بالحقيقة منذ البداية؟

- ومتى كنت سأفعل ذلك؟ آه، تذكرت! كان عليّ أن أخبرك عندما دخلت إلى المصعد وأنت تنعتين كتابي بالتفاهة.. حينذاك كانت الفرصة مؤاتية تماماً للاعتراف بالحقيقة، أليس كذلك؟

لسعها تهكمه: «وماذا أستطيع أن أفعل إذا لم يعجبني كتابك؟».

فقال بصوت خطر: «لم يعجبك؟ لم يعجبك؟ (هراء، قذارة، لغو، كلام فارغ) هذه كانت كلماتك بالضبط يا ماديسون... وذلك بعد أن قرأت... ماذا؟ ثلاث صفحات؟ ما قلته لم يدفعني إلى الاعتراف بالحقيقة».

فوضعت يديها على وركيها وقالت:

- آسفة لأنني جرحتك حينذاك، لكنني لست الوحيدة التي لا تحب فكرة أن يعلمني كتاب كيف ألفت أنظار رجل ما.

- ولمَ لا؟

- آه! هذا أمر وضيع جداً.

- بمثل وضاعة النعوت التي أطلقتها على كتابي. يحتوي هذا الكتاب على مبادىء بسيطة عن كيفية إنشاء علاقة متينة بين رجل وامرأة، وليس كتاباً مبتذلاً يبحث في الأمور الدنيوية البحتة.

وبان الغضب في عينيه وأخذ يذرع الغرفة جيئة وذهاباً، وتابع كلامه قائلاً: «لو كلفت نفسك عناء قراءته لأكثر من دقيقتين، لاكتشفت ذلك. لكنك كوّنت رأياً قبل أن تفتحي الكتاب، أليس كذلك؟».

- إنها غلطتي. ربما لو قرأته لأدركت مبادئك أثناء تطبيقها. هل هذا ما جرى في الأسابيع الماضية؟ اختبار لنظرياتك أنا نتيجته.

أخطأت في قولها هذا، ومضت دقيقة ظنت فيها أنه سينفجر. بدا متوتراً كما لم تره من قبل، لكن قدرته على التحكم بنفسه كانت غير عادية.

- عزيزتي، حتى الساعة، لم تسر علاقتنا بشكل طبيعي، لذا دعينا نمضي قُدماً، يا ماديسون.

- ماذا تعني؟

- أعني أن نستمر. أنت متلهفة إلى اتهامي بتهم غير أخلاقية.

وانحنى متهكماً وأضاف: «قوليها، قوليها لكي يصبح لديك عذر لتهربي».

فحملقت فيه وقالت: «أنا لا أبحث عن عذر لكي أهرب، حسناً، ربما قليلاً. لكنني لا أظنك غير أخلاقي، أنت أشرف رجل عرفته. وصدّقني، لقد عرفت كثيرين من غير نوعك، لهذا أعرف الفرق».

لكنها لم تخفف غضبه، بل نظر إليها وقد ارتسم الاشمئزاز على ملامحه: «بقدر ما أقدّر لك مديحك هذا، إلاّ أننا ما كنا لنخوض حديثاً كهذا لو اتبعت مبادىء الكتاب».

فسألته قبل أن تستطيع منع نفسها: «ولمَ لا؟».

- المبدأ السابع يجيب عن هذا السؤال، ويمكنك قراءته.

- ألاّ تريد إعطائي فكرة عنه؟

- يتحدث المبدأ عن الصدق والكرامة، وهو أمر نسيته في الأسبوعين الماضيين. لكنني أتعهد بألا أنسى ذلك مرة أخرى.

وتنهد بعمق وقد بدا عليه العزم: «لا بأس يا ماديسون. ما رأيك في

www.elromancia.com

حل المشكلة الحقيقية».

- أيّ مشكلة؟

- أنت تبحثين عن سبب لتتهرّبي من هذا الالتزام. أنت خائفة، ولأنني لم أخبرك عن الكتاب، أعطيتك عذراً ممتازاً للتراجع.

كان محقاً، مما زاد غضبها.

- أتريد الصدق؟ حسن. أنا خائفة فعلاً، وجدالك يكلفني أعصابي، لو استطعت الهروب منك في الحال، لفعلت من دون تردد. ما رأيك بهذا الصدق؟

التوى فمه وقد تغلب الهزل على غضبه: «صدق تام لعين، أظن أنّ عليّ أن أكبلك كلما تخاصمنا».

كلامه يعني أن أمامهما مستقبلاً معاً، وكان هذا كفيلاً بأن يرسل الذعر في نفسها.. تراجعت بسرعة فتعثرت وكادت تفقد توازنها. صدمه خوفها ولمعت عيناه لحظة قبل أن يتملّكه الجمود.

وقفت في وسط الغرفة ثم جاهدت لتجد الكلمات المناسبة.

- هل يمكنك، على الأقل، أن تخبرني ما إذا كان كل هذا خطة مرسومة؟

- نعم، كانت خطة.

فبللت شفتيها، وأرغمت نفسها على سؤاله.

- وهل كنت أنا نوعاً من الاختبار؟

تردد هاري لحظة قبل أن يهز رأسه ويجيب.

- عليك أن تقرري ذلك بنفسك.

وسار نحو النافذة ثم أراح جبهته على زجاجها وأخذ ينظر إلى المدينة.

- حان وقت رحيلي يا ماديسون.

- هاري...

فقاطعها: «لا تشعري بالكدر، يا حبيبتي، لقد جربت حظي فلم

أنجح. لكنني جرّبت على الأقل. هناك مبدأ عاشر، فيما لو كان يهمّك».

ومن دون أن يضيف كلمة أخرى، أو أن يلتفت إليها، سارت نحو الباب. إنه محق، لقد اتخذت من جدالهما عذراً لتهرب. وراح صوت في أعماقها يصيح بها أن تناديه، وأن تخبره بشعورها، أن تفضي إليه بما حدث لها في تلك السنوات التي أمضتها مع أبيها. عليها أن تفسر له سبب عدم ثقتها بالناس وخوفها من الالتزام، لكنها قصة لم تطلع أحداً عليها، حتى أقاربها من أسرة سانفلاور. وهي لا تستطيع الآن أن تفضي بها.

وهكذا، وبدلاً من أن تتبع قلبها، خرجت بثبات إلى حيث يطهرها العذاب.

***

فتحت ماديسون باب مكتبها والإرهاق بادٍ عليها. ولسبب ما كانت الأنوار مطفأة، فأضاءتها.

- مفاجأة.

كان أفراد أسرة سانفلاور يملأون غرفة المكتب، وهم يرتدون قبعات الحفلات المزينة وينفخون في الأبواق.

ووقفت ماديسون دقيقة فاغرة الفم، تنظر بذهول وعدم تصديق. إنه عيد ميلادها! رباه، لقد نسيته كلياً! أخذت تنظر إلى أسرتها والوجوه الباسمة السعيدة، ثم انفجرت بالبكاء. والتفّ أقرباؤها حولها.

- ماذا حدث؟

- هل من سوء؟

وتأوهت روزي قائلة: «هاري! ما الذي يمنع الرجال من اتباع بعض الإرشادات البسيطة؟».

فهزت ماديسون رأسها مجاهدة لضبط أعصابها وأجابت: «لا. أنت مخطئة، الأمر ليس كما تظنين. «لينك»، أبي...».

وازداد انهمار الدموع من عينيها ليمنعها من الشرح.

وتقدمت ساني إليها تحتضنها بحرارة.

- هيا، هيا يا غاليتي أخبري جدتك عما يكدّرك وعما حدث؟

- لقد نسفت كل شيء مع هاري. لقد نسفته حقاً.

فقالت روزي ساخطة: «لكنه كان هديتنا لك في عيد ميلادك. آه، لقد فهمت! كان عليّ إعطاؤك الإرشادات بدلاً منه».

فقال دانيال آمراً: «اصمتي يا روزي. هذا أمر هام، هل لكم أن تعذرونا؟ أودّ أن أتولى الأمور من هنا».

وبدا الحذر على ساني فقالت: «لا أدري. ربما يحتاج هذا الأمر إلى لمسة امرأة».

فقال بحزم: «يمكنني حل المسألة. لم أكن ماهراً في مساعدة الناس فيما مضى، لكنني أستطيع أن أساعد ماديسون. امنحيني فرصة للمحاولة».

وللمرة الاولى، لم يجادله أحد. انتظر دانيال إلى أن غادروا كلهم المكتب، جارين خلفهم البالونات والشرائط الملوّنة والقبعات المزخرفة. وحالما أصبحا وحيدين، أغلق الباب واقترب منها، ثم أخرج من جيبه الخلفي مغلفاً أصفر مجعداً.

نظرت ماديسون إلى المغلف بفضول، وهي تمسح دموعها عن خديها:

- ما هذا، يا خالي دانيال؟

فقال مقطباً حاجبيه: «إنها هدية عيد ميلادك. لم أكن واثقاً من أنّ عليّ أن أقدمها لك. فقد كنت أرجو أن أجمعكما، أنت وهاري، معاً باستعمال المبادىء كما فعل الجميع، ثم أقدم لك هديتي. لكنني لم أعرف كيف أقوم بذلك».

- صدقني، هذا غير مهم.

فابتسم وقال: «لا. لا أظن ذلك. وأنا أشك في مدى صوابية وصحة عملي هذا حتى وإن سنحت لي الفرصة للمحاولة. لكنني حقاً رغبت في المساعدة».

- أنتم محبون ولطفاء نحوي، وهذا يعني لي الكثير. أنتم لطفاء معي وتساعدونني عندما أحتاج إليكم.

وأوشكت على البكاء مرة أخرى، فقال: «الشكر غير ضروري. لقد ابتهجنا بعودتك إلى بيتك، وأنت قمت بالكثير من أجلنا. وأنا أريد أن أشكرك كثيراً، ولهذا... خذي».

وناولها المغلف، فسألته: «ما هذا؟».

- إنه السبب الحقيقي الذي جعل هاري يأتي إلى سياتل.

- السبب الحقيقي؟

ونظرت ماديسون إلى المغلف وكأنه سيجلب لها كارثة: «ما هو السبب الحقيقي؟ خدمة لساني؟ لكي يلقي نظرة على أحوالنا المالية؟ أم رداً على محاولات أسرة سانفلاور لتزويجنا».

- لا شيء من هذا كله.

وعندما لم تأخذ المغلف منه وضعه على المكتب بلطف وقال: «كل شيء موجود هنا، لماذا جاء؟ لماذا بقي؟ ولماذا هو الرجل المناسب تماماً لك؟».

وتغلب فضولها على التردد فالتقطت المغلف. فتحته وأخرجت الأوراق، وفي لحظة واحدة أدركت ما يحويه.

- آه، لا! أخبرني أرجوك أن هذا ليس ما أظنه.

- إنها صفحات من يومياتك. وقد أرسلتها روزي إلى بارتلوميو.

واغرورقت عيناها بالدموع مرة أخرى.

- لماذا فعلت شيئاً كهذا؟

- لأنها ظنت أنه سيرغب في الحصول على معلومات مفيدة يضيفها إلى كتابه. وكانت مخطئة طبعاً. مخطئة في إرسالها، ومخطئة في ظنها أن بارتلوميو أو هاري سيستعملان الأوراق لربح شخصي.

رفعت رأسها بعنف وهي تستوعب معنى كلماته.

- هل تعرف حقيقة هاري؟

ـ أنه مؤلف كتاب (المبادىء)؟ لقد أدركت حين قرأت الكتاب للمرة الثانية. فقد رأيته، رأيت جزءاً منه فماذا عنك أنت.

ـ أنا... أنا لم أقرأه بعد...

ـ ربما كان عليك أن تقرئيه، فقد تدركين أن خبيرك الاقتصادي ذا العقل المنطقي العملي، ولا أقول الرهيب، صاحب قلب عاطفي، وإلاّ ما الذي جعله يأتي إلى هنا عندما قرأ مواصفاتك للرجل المثالي؟

نظرت إلى أفكارها وأحلامها الأكثر خصوصية، ثم هزت رأسها: «لا أفهم، لماذا جعله هذا يأتي إلى هنا؟».

فاحمر وجهه، وأجاب: «أنا لم أقرأ ماكتبته، لكنني أظن أنه قرأ فيه ما جعله يعتقد أنكما مناسبان لبعضكما البعض».

ـ أنت مخطىء، فقد جاء لأن ساني طلبت منه ذلك، لأن بارتلوميو...

فسمّرها دانيال بنظرة صادقة، مقتنعة، فعادت تقول ضارعة: «ما أدراك بذلك؟ ما الذي يجعلك متأكداً؟».

ـ كل ما يمكنني أن أخبرك به هو أن بارتلوميو أرسل إليه بالفاكس هذه الصفحات من يومياتك. وخلال خمس دقائق ترك هاري كل شيء وجاء إلى سياتل في أول طائرة، ثم أقام هنا، مهملاً عمله لكي يمضي بعض الوقت معك. على أيّ حال، أشك في أنّ لهذا أيّ علاقة بأسرة سانفلاور، أو حالتنا المالية، أو كتابه.

ـ لكنني لم أخبره عن...

ـ عن ماضيك؟

فهمست تقول: «هناك أشياء لم أخبر بها أحداً منكم، أشياء فظيعة».

فقال متنهداً: «هل تعلمين أي يوم هذا».

ـ يوم عيد ميلادي.

فوضع يديه على كتفيها وقال: «إنه أكثر من ذلك يا ماديسون. إنه اليوم الذي قررت فيه تغيير حياتك. يمكننا أن نقدّر مدى صعوبة قرارك

وماذا كلفك؟ لماذا نحتفل برأيك كل عام بعيد ميلادك بمثل هذا الاهتمام؟».

إنهم يعلمون إذن. أفراد أسرة سانفلاور يعلمون سرّها. حاولت أن تتنفس، وسألته بصوت مخنوق:

ـ منذ متى؟ منذ متى وأنتم تعرفون؟

ـ منذ البداية. لقد أخبرنا أبوك بذلك.

فلم تستطع التصديق وسألته: «ومع ذلك رضيتم بي في بيوتكم؟».

ـ طبعاً فعلنا، فأنت قريبتنا. ونحن نساعد بعضنا البعض دوماً مهما تكبّدنا في سبيل ذلك من عناء.

وعانقها بسرعة مضيفاً: «وهذا ما جعلنا نتدخل في مشكلتك مع هاري، وأظن أنك حزينة الآن لأنك لم تخبريه الحقيقة».

ـ لم أستطع، لم أستطع.

ـ أتثقين به؟

ـ طبعاً.

خرجت هذه الكلمة من صميم قلبها وأردفت قائلة: «نعم نعم. أثق به».

فأومأ برصانة: «حسناً. هذا يفسر سبب وجودك معنا هنا، بدلاً من أن تكوني معه».

سحقتها الحقيقة بقوة مدمرة، لقد تصرفت بحماقة بالغة، وتركت الخوف يتحكم بحياتها طوال تلك السنوات من دون أن تدرك أن أباها كان يتحكم في تصرفاتها، ويدير حياتها عن بعد. كانت خائفة من أن تثق بمن حولها وبنفسها. لقد هربت منه حالما استطاعت ذلك، واختبأت في حين كان بإمكانها أن تحلّق عالياً، اختبأت من الشمس بدلاً من التمتع بأشعتها... وها هي تغامر الآن بخسارة أهم شيء في حياتها، أي هاري.

ـ أنا معتوهة حقاً.

فابتسم دانيال ببساطة وأجاب: «نعم، يا عزيزتي».

ـ عليّ أن أعود إليه.

ولم تضيّع ثانية أخرى، بل فتحت خزانة ملفها الشخصي، وحملته تحت إبطها، ثم تناولت حقيبة يدها والمغلف الذي أعطاها إياه خالها. وقالت له وهي تقبل وجنته: «شكراً يا خالي دانيال، لقد ساعدتني أكثر مما تعلم».

فتألق وجهه سروراً: «وهذا ما أحسنه».

ـ هذا صحيح، ولا تدع أحداً يقول لك خلاف ذلك. لا الشرطة ولا القاضي ولا حتى أنا.

وخرجت من المكتب، وتوقفت قليلاً عند مكتب روزي تهز أمامها أوراق يومياتها.

فتثاءبت هذه، قائلة: «نعم نعم، كنت أعلم أنك ستشكرينني في النهاية».

ـ لكنني سأقتلك أولاً.

ـ لن يسمح لك هاري جونس بذلك، . إنه مدين لي، هل نسيت؟ لو أنني لم أرسل له أوراقك لما لحق بك. والآن، وبعد إعادة التفكير في الأمر، أرى أنكما مدينان لي، أنتما الاثنين ولا تظنان أنني لن أسترد ديني هذا. ونصيحة أخرى قبل أن تذهبي، اجعليه يركع على ركبتيه عندما يعرض عليك الزواج. هذا ما سيفعله «كنت» عندما يقع في غرامي، سيركع على ركبتيه.

ـ على العكس، من المفترض أن أركع أنا بعد ما فعلته.

فردت روزي بحدة: «هذه بداية سيئة لأي زواج، وسأضع ذلك في ما سأكتبه لجونس (الفصل الأول. . . ليس للنساء ركب فلا تتوقع منهن أن ينظفن الأرض ويغسلن الحمامات أو يقمن بأيّ عمل يحط من قدرهن) ويمكنك أن تخبري جونس أنني قلت هذا، أيضاً».

وقفت ماديسون عند باب غرفة الجلوس حيث كانت جدتها وبقية أفراد الأسرة، فنظروا إليها بتوجس متوتر. سألتهم:

ـ هل الجميع يعلم أنّ هاري مؤلف الكتاب ما عداي أنا؟

أمالت ساني قبعة الحفلة المزينة على رأسها وهي تقول: «أتعنين أن هاري لم يخبرك؟ كنت واثقة من أنه سيفعل ذلك. سأجعل بارتلوميو يتحدث إليه. علينا اعتماد الصدق التام بالنسبة إلى زواجك، وهو المبدأ السابع، هذا إذا كان موضوع الزواج يهمك».

ونهضت لتقف إلى جانبها وتضع في يدها كتاب (مبادىء الحب)، قائلة: «حاولي أن تقرئيه هذه المرة. ربما لو قرأته عندما طلبت منك ذلك في البداية، لما واجهت هذه المشاكل كلها».

ـ ساني؟

ـ نعم يا حبيبتي.

ـ أنا سعيدة لأنك جدتي.

وانتقلت بنظراتها إلى بقية أقربائها مضيفة: «أنا سعيدة لأنكم جميعاً أقربائي وشكراً لاحتضانكم لي».

فنظرت ساني إليها دامعة العينين وقالت: «آه، هذا هراء! نحن المحظوظون، ماذا كان ليحصل لنا لولاك؟».

فقالت الخالة «ديل»: «الضياع. الضياع التام».

فابتسمت ماديسون من خلال دموعها: «مفهومك معكوس، يا خالتي، أنا التي كنت ضائعة».

ـ نعم نعم، وقد وجدناك الآن.

ودفعتها جدتها إلى الباب الخارجي قائلة: «سيكون لدينا الوقت الكافي لتتبادل الأحاديث بعد أن تعتذري من هاري وتفسري له سبب حماقتك. سنؤجل حفلة عيد ميلادك. أحضريه إلى هنا لتأكلا «الكيك» «والآيس كريم» بعد أن تتصالحا».

فشخرت روزي وقالت: «نعم، وكأنه سيبقى شيء من ذلك، طبعاً إذا كان. . . ».

واتسعت عيناها وأضافت: «آيس كريم؟ يا لها من فكرة رائعة! أصبح

لديّ إرشادات جديدة لهاري».

فتحت الجدة ساني الباب، قائلة: «فات الأوان. لقد فكّر في ذلك منذ دهور».

***

فتح هاري الباب بعد لحظات، وكان يرتدي الملابس التي تظهره مرهوباً للغاية. بذلة، ربطة عنق، وشعره الذي يماثل لون وبر الأسد، ممشط جيداً.

ـ أيّ خدمة، يا ماديسون؟

فقالت وهي تحاول الدخول: «لماذا لم تخبرني؟».

فتنحّى جانباً وقال: «تفضلي بالدخول».

دخلت إلى غرفة الجلوس، ثم استدارت لتواجهه: «لماذا لم تخبرني بأن يومياتي مماثلة تقريباً لمبادئك؟».

عقد ذراعيه على صدره، وقد شردت نظراته.

ـ ولماذا لم تقرئي كتابي؟ لو فعلت لما كان هناك حاجة لأن أخبرك.

ـ لا بأس، معك حق.

ـ كيف علمت أن كتاباتك ومبادئي متماثلة.

ـ قرأت كتابك.. لقد أمضيت أمام فندقك الساعتين الماضيتين. قرأته وبكيت.

ـ لم يكن من المفترض أن يبكيك الكتاب.

ـ حسناً، لقد أبكاني، لكنني أعترف بأن المبدأ العاشر حيّرني. فهو لم يكن موجوداً على أوراقي.

ونظرت إليه بصراحة تامة وقد زال عن وجهها كل أثر للخصام أو العتاب.

ـ ربما لو فكرت في الأمر لما أضعت هذا الوقت كله أو سببت هذه المشاكل. أنا آسفة يا هاري، كان عليّ أن أقرأ كتابك قبل الآن، ولو فعلت لوفرت علينا الكثير من المشاكل. ولكن لتسبب الكتاب بمشاكل أخرى.

فنظر إليها بحدة: «أي مشاكل؟».

فهزت كتفيها وأجابت: «باعتبار أن أباك هو واضع تلك المبادىء، ربما تركتك وتشاجرت مع جدتي بسببه».

مضت لحظة ظنت فيها أنها خرجت عن حدها، لكنه تأوه بكلمة احمر لها وجهها، وضمها بين ذراعيه: «أنت تجعلينني مجنوناً».

فهمست وقد دسّت وجهها في صدره: «آسفة جداً.. جداً».

ـ نعم، هذا ما عليك أن تفعليه.

فدفعته من كتفيه، وعندما لم يتركها قالت: «لا تكن سعيداً بهذا الشكل. هناك أمر لم أخبرك به بعد، أمر عليك أن تعرفه».

ـ أوراقك باحت لي بكل ما أريد معرفته عنك.

ـ أنت مخطىء.

وتنهدت طويلاً وهي تحاول العثور على الكلمات المناسبة لتخبره عن ماضيها، وأردفت: «قلت لك الليلة الماضية إنك تظن أننا متماثلان، ولكننا لسنا كذلك. هناك فرق كبير بيننا».

ـ وما هو؟

ـ أنا لست حسنة الأخلاق مثلك، بل سيئة مثل «لينك» وربما أسوأ.

فجمد في مكانه وقال: «أوضحي ما تقولين».

فقدمت له الملف الذي أحضرته معها وقالت: «خذ. هذا لك».

وعندما لم يتحرك ليأخذه، ألقته على الطاولة، فسألها:

ـ ما هذا؟

فأجابت: «إنه ملف عني».

وكانت رغبتها بالهرب من القوة بحيث أخذت ترتجف وهي تقاومها، وأرغمت نفسها على مواجهة نظراته وقد وضعت ثقتها في الرجل الذي أحبته من كل قلبها.

ـ أتذكر ما قلته لك بأن أبي كان لصاً وكاذباً؟

ـ نعم.

www.elromancia.com

أخذت تكافح عذاب اعترافها، متشبثة بكبرياء يائسة خوفاً من العار الذي تشعر به وهي تقول: «إنما لم أخبرك أنه علمني أيضاً كيف أفعل ذلك».

ـ علّمك؟

وأمسك بذقنها يرفع وجهها إليه وهو يسألها: «ما الذي تعنينه بقولك إنه علّمك ذلك؟».

فغصت بريقها وأجابت: «عندما أدرك أن طبيعتي تشابه طبيعته العملية أكثر مما تشابه طبيعة أمي، أراد أن أكون من أسرة آدامز بكل معنى الكلمة».

ـ لا أفهم.

ومزقها القنوط الممتزج بالخوف، وهي تقول: «لم تفهم؟ علمني كيف أختلس المال. عندما أصبحت في عمر يؤهلني لاستلام عمل، ساعدني على ايجاد عمل بنصف دوام بحيث يمكنني أن أساعده على السرقة، كان عملي يقضي بأن أجمع معلومات هامة عن أنظمتهم، وهل هناك من يشتبه بفتاة صغيرة؟».

تمتم هاري بكلمة لم تسمعه يتلفظ بها من قبل، ثم سألها: «كم كان عمرك حينذاك؟».

ـ ستة عشر عاماً.

ـ لكنك تخلّصت من ذلك كله.

ـ لم يحدث ذلك إلاّ بعد أن اكتشفوني في الوقت المناسب.

ـ تبّاً له!

تفجر غضب هاري أخيراً وكان منظراً رهيباً. ولم تدرك مدى تحكمه بأعصابه حتى هذه اللحظة، حيث فلت غضبه من عقاله وأصبح أشبه بعاصفة هوجاء أو إعصار عنيف لم تر مثله في حياتها.

ـ أقسم بأن أسعى طوال حياتي لكي أذلّ ذلك الرجل.

تشبثت ماديسون به، رافضة تركه. وتحيّرت وهي ترى أنّ لمستها أشبه

ببلسم هدّأ غضبه.

ـ اللوم يقع عليّ في بعض ما حدث لي، فقد كنت مثل أبي تماماً، عديمة الرحمة. كنت أستمتع بما يعلمني.

ـ وما الذي أقنعك بالابتعاد عن ذلك، الخوف من السجن؟

فهزت رأسها وأجابت: «تلقيت من عمي تايلر صفعة على يدي، وقد ضحكنا معاً بعد ذلك».

ـ لماذا تركت أباك إذن؟

ـ جاءت ساني لزيارتي قبل عيد ميلادي الثامن عشر بيوم واحد. وأدركت فجأة أنني لم اعد أصرّ على العودة إلى البيت، وأنني أصبحت فتاة أثيمة شريرة، فشعرت بالعار لما صرت إليه. لم أشأ أن تعلم ساني الحقيقة التي كانت ستدمّرها، عند ذلك تحرك شيء ما في داخلي فقررت الرحيل قبل أن أفقد كل ما ورثته عن أسرة أمي.

حان الوقت لإنهاء حديثها، ولترى إن كان أمامهما أيّ مستقبل.

ـ هناك المزيد يا هاري، وهو أسوأ.

ـ آه، إلهي!

وتشبث بها وكأنه يخاف أن تتحطم إذا ما تركها.

ـ أنهيه، أنهي كل شيء لكي نتمكن من إلقائه وراءنا.

فقالت بصعوبة وهي تشعر بالاختناق: «أنا من علم «لينك». ما حدث في شركة برادفورد لم يكن ذنبه، بل ذنبي. إنه ابن عمي الأصغر وكان عليّ أن أحميه، لكنني بدلاً من ذلك...».

وتهدج صوتها ولكنها لم تسكت: «حاولت جهدي لكي أفسده، ويبدو أنني نجحت».

ـ أنت مخطئة يا ماديسون، لأنك أنقذته.

ـ ما الذي تقوله؟

ـ بعد خروجك من الشركة، اعترف «لينك» بكل شيء، كما أنه أعطى معلومات سيكون فيها نهاية مهنة أبيك. وطلب منا أن نساعده. قال إنك

www.elromancia.com

استطعت الهرب من أسرتك وسنساعده نحن على الهرب، هو أيضاً.

وتخلل هاري شعرها بأصابعه، فاشتبكت خصلاتها بأصابعه بسرور، وأضاف: «لم يخنك يا ماديسون، لم يقل كلمة واحدة عن ماضيك. وعندما كان يتحدث عنك، كان يفعل بإعجاب، فأنت مثله الأعلى، يا حبيبتي، مثلٌ قد يقلب مستقبله رأساً على عقب».

وعندما انتهى من حديثه كانت تبكي: «كنت خائفة للغاية. خائفة من أن أثق بالناس فيكتشفون في النهاية أنني لست كما أبدو. خفت من الإيمان بدوام الأمور فيأتي يوم تسرق مني.. كما حدث حين تطلق أبويّ. خفت أن أفقد سيطرتي على من أحب فيتركونني».

ـ أنت تتحدثين عن ساني.

أومأت والدموع تنهمر من عينيها بغزارة، ثم قالت: «تملكني الذعر عندما اكتشفت أمر أبيك. كانا سيتزوجان وينتقلان إلى الشرق معاً. و... ولم أستطع احتمال فكرة أن أفقدها. أسرة سانفلاور هي ملجئي الأمين، حمايتي، وإذا حدث لها شيء... كان الذعر يتملكني من أن أعود إلى شخصية آدامز مرة أخرى».

ـ هذا لن يحدث أبداً.

ـ أعرف ذلك الآن.

بدا في عينيه الحنان، فملأها بالأمل: «ماذا، يا حبيبتي؟».

ـ أحبك.

ـ تطلب منك اكتشاف ذلك وقتاً طويلاً، أليس كذلك؟

ـ نعم. وقتاً طويلاً جداً، هل فات الأوان؟ أعني بالنسبة إلينا؟

ـ كيف تطرحين سؤالاً كهذا؟

وعانقها عناقاً محموماً تمنت ألاّ ينتهي أبداً.

ـ أحبك، يا ماديسون، وقعت في غرامك بعد أن قرأت أولى الكلمات التي كتبتها في يومياتك. وازداد حبي لك في المصعد حين أخذتك بين ذراعي.

ـ بالرغم من أنني ذممت كتابك؟

ـ ربما بسبب ذلك، عرفت أنّ ما قرأته في يومياتك كلام من القلب والروح. كما عرفت أنني أريد تلك المرأة التي كتبت تلك الكلمات لأنها صدى لأفكاري وأحلامي.

ـ لديّ اعتراف آخر.

ـ وما هو؟

ـ أظنني وقعت في غرامك في المصعد.

وما أجمل الهزل الذي عاد إلى عينيه وهو يقول: «الحب من أول كلمة سمعتها؟».

ـ من أول كلمة، من أول لمسة. ومن أول كلمة رقيقة، ومن أول عناق.

وطوقته بذراعيها مضيفة: «أنا أؤمن بك يا هاري، أؤمن بكتابك وكرامتك وحبك».

وتنهد راضياً: «هل هذا يعني أنك لم تعودي خائفة من الالتزام؟».

ـ الالتزام؟

وضحكت قائلة: «هراء، لا مشكلة على الإطلاق».

وقلّدت قول الرجل الرهيب: «أريد أن أبدأ حياتي معك اليوم وأن نعيش بسعادة بعد ذلك إلى الأبد».

ـ في هذه الحالة...

وضمها بين ذراعيه وهو يقول: «الأفضل أن نبدأ الترتيبات على الفور. لأن أمامنا الكثير لننجزه».

فاستندت إليه قائلة: «أقترح أن نتوجه إلى غرفة الطعام، أريد أن أقطف ورقة عن الشجرة».

ـ سعف النخيل، يا حبيبتي، سعف النخيل علامة النصر.

***